وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعــة الدكتور: يحي فارس – المدية –

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعيــة

قســم: العلوم الإنسانية

شعبة: التاريخ

دراسة كتاب مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية لرفاعة رافع الطهطاوي

مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الدولة العثمانية 1453- 1924م

إعداد الطالبتين:

- عبادة خديجة
- عابد صليحة

إشراف الأستاذ:

مياد رشيد

السنة الجامعية: 1440-1441هـ/2019- 2020


بسم الله الرحمن الرحيم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شكر

نشكر الله تعالى فهو سبحانه المستحق لكل شكر صاحب العطاء والكرم، ولك الشكر يا رب على كل ما أنعمت علينا من قوة وصبر في إنجاز هذا العمل.

بداية عما رواه الإمام أحمد و الترمذي من حديث الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صل الله عليه وسلم قال﴿من لم يشكر الناس لم يشكر الله﴾.

نتقدم بالشكر الجزيل إلى المشرف الدكتور "**مياد رشيد**"الذي كان عوناً لنا منذ لحظة اختيارنا الموضوع ولم يبخل علينا من جهد ووقت دون كلّ أو ملّ، من خلال متابعة هذا العمل، له منا خالص الشكر والإمتنان وجزاه الله عنا خير جزاء.

نتقدم بالشكر لأهل الفضل والتي ربما لا تسعفنا الكلمات لقول كلمة الحق فيهم اعترافا منا بفضلهم وجهدهم، إلى من تعلمنا منهم أن للنجاح معنى وقيمة وسعوا لتربية جيل مشرق من أجل الرقي بنا "جميع أساتذتنا"الأفاضل لهم كل الاحترام والتقدير.

الإهداء



*إلى من تتسابق الكلمات معبرة عن مكنون ذاتها، إلى التي تمتهن الحب وتغزل الأمل في قلبي عصفوراً يرفرف فوق ناصية الأحلام فتبقى روحي متلألئة ومشرقة، طالما كانت دعواتها عنوان دربي إليك يا رمز التضحية، يا من كنتِ سندي في السراء والضراء، يا سيدة القلب والحياة " **والدتي الحبيبة** ".*

*و إلى بؤرة النور التي عبرت بي نحو الأمل والأماني الجميلة وأتسع قلبه ليحتوي حلمي حين ضاقت الدنيا فروض الصعاب من أجل وسار في ظلمة الدرب ليغرس معاني النور والصفاء في قلبي إلى " **والدي الحبيب** ".*

*إلى من بهم أكبر وعليهم أعتمد إلى من بوجودهم أكتب قوة ومحبة لا حدود لها، إلى من بهم أشد أزري وأقوي عزيمتي أخوتي الأحباء " **أحمد- عائشة- توفيق- عادل** ".إلى روح أخي الطاهرة " **بوعلام** " رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.*

*إلى زوجة أخي "**حنان**" التي كان لها الفضل الكبير في كتابة هذه المذكرة.*

*إلى أختي التي لم تلدها أمي رفيقة دربي وحبيبة قلبي "**إيمان**".*

و إلى كل أصدقاء الدراسة التي جمعتني بهم الأيام الوفية الصادقة ولحظات السعادة البسيطة أسأل الله أن يسعدهم ويوفقهم ويجعل أيامهم عامرة بذكر الله.



خديجة

الإهداء



*إلى من كلله الله بالهيبة والوقار وعلمني العطاء دون إنتظار إلى من أحمل أسمه بكل افتخار وأرجوا من الله أن يمده بتمام الصحة والعافية وطول العمر "**والدي العزيز**"*

*إلى ملاكي في الحياة و إلى معنى الحب والحنان والتفاني، إلى بسمة الحياة وسر الوجود، إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي، إلى أغلى الحبيبات "**أمي الحبيبة**" أطال الله في عمرها.*

*إلى من أرى التفاؤل في عيونهم والسعادة في ضحكتهم أخوتي: **عزيز،محمد، صادق، سالم، بلال، خليدة، مسعودة، عبلة.***

*إلى من ساندني وقدم لي كل الدعم: "**مراد**".*

و إلى كل أصدقائي بدون استثناء، و إلى كل الأساتذة الذين قدموا لنا يد المساعدة، إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع، وأسأل الله عز وجل أن يوفقنا لما فيه الخير والصلاح



عبلة

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات:

الرمز	المعنى
تر	ترجمة
إشر	إشراف
تح	تحقيق
تق	تقديم
دط	دون طبعة
د س ن	دون سنة نشر
د ب ن	دون بلد نشر
د ت ن	دون تاريخ نشر
ط	طبعة
ص	صفحة
ج	جزء
م	ميلادي
هـ	هجري

المقدمة

في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، عانت الدولة العثمانية من مرحلة تخلف واضحة، وكان هذا الضعف يوازيه إزدهار وتقدم في أوروبا، وكانت مصر باعتبارها من ممتلكات الدولة العثمانية تتمتع بموقع جغرافي فريد كملتقى لثلاث قارات منحها وضعا استراتيجيا خاصا ازدادت قوته بعدم قدرة الدولة العثمانية على حمايتها، هذا ما جعلها بؤرة للأنظار ومحل أطماع الدول الأوربية وخاصة فرنسا.

عانت مصر فترة ركود في كنف المماليك والعثمانيين، فكانت الحملة الفرنسية على مصر(1798-1801) هي إحدى أهم البدايات المؤسسة لمعرفة الآخر، والتي كشفت عن عظم الهوة التي تفصل بين حضارة الغرب الناهضة المتقدمة، وحضارة الشرق الآفلة والتي لم تبقى منها غير تلك الذبالة التي تلفظ أنفاسها في رحاب الأزهر، وقد بدأ المجتمع العربي يعي أن هناك آخرا ناهضا وحضارة غربية قوية، وهنا بدأ البعض يعي طبيعة الإنحطاط والتدهور الذي يعيش به العالم العربي، كما تعرفت مصر من خلال ذلك على طريقة تفكير وأسلوب عيش جديد طرح عدة تساؤلات وتعددت على صفحات المحاولات العديدة التي حاولت التطرق لدراسة موضوع النهضة، والحديث عن النهضة لا يستقيم إلا بالعروج على شخصية رفاعة رافع الطهطاوي والذي مثّل أحد الأعمدة الأساسية التي قامت عليها حركة الفكر التنويري في العصر الحديث في مصر، والذي غيّر الوجه الثقافي لمصر وأدخلها في عصر التنوير،وقد ارتبط مشروع الطهطاوي بدولة محمد علي باعث نهضة مصر من خلال تجربة مشروع نهضوي حداثي شهدته مصر في فترة تحول مهمة في تاريخها، مشروع شيد على دعائم ومحاور أساسية استلهم رؤية إصلاحية شاملة لدى النخبة الحاكمة التي أجادت قراءة التاريخ من ناحية وفهم الشخصية المصرية من ناحية أخرى، وهذا ما يتضح في كتاب "مناهج الألباب المصرية في مباهج الألباب الآداب العصرية" لرفاعة رافع الطهطاوى والذي هو مُؤَلَف من مؤلفات القرن التاسع عشر هذا الأخير الذي يدرس لنا جوانب إصلاحية حدثت في تلك الفترة والذي هو موضوع دراستنا.

➢ **دوافع اختيار الموضوع :**

يعود اختيارنا لكتاب "**مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية لرفاعة رافع الطهطاوي**" لجملة من الأسباب والدوافع لعل من أبرزها :

- الرغبة في التعرف على شخصية رفاعة رافع الطهطاوي والتعرف على أهم أفكاره باعتباره من طلائع النهضة الفكرية والاجتماعية التي جاءت في عصر التنوير الإسلامي في القرن التاسع عشر والتي ساهمت في إيقاظ الشعوب العربية.
- إهتمامنا الكبير بالنهضة العربية الحديثة خاصة قضية التحديث وبالشخصيات التي أرست النهضة الفكرية والعلمية في القرن التاسع عشر.

➢ **أهمية الموضوع :**

تكمن أهمية دراسة كتاب "**مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية لرفاعة رافع الطهطاوي**" فيما يلي :

- تهدف الدراسة إلى إبراز صورة الغرب الأوربي وتسليط الضوء على تطلعات رفاعة رافع الطهطاوي ونظراته في جوانب النهضة والإصلاح والتغيير، وتتبع أهم النظريات والتحديثات في فكر رفاعة الطهطاوي التي عالجها في كتابه والتي كانت ثمرة لتجربة عريضة وعميقة.
- كذلك تكشف عن جانب مهم من شخصية محمد علي باشا حاكم مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر، الذي تؤكد حوادث التاريخ أنه كان حاكما مستنيرا حكم التاريخ بمقياس عصره في العالم العربي.

➢ **إشكالية الموضوع :**

من خلال دراستنا لكتاب "مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية" تبادرت في أذهاننا الإشكالية التالية :

ما هي أبرز ملامح التجديد والإصلاح في مصر خلال القرن التاسع عشر؟

ونتج عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية التالية :

– فيما تكمن نقطة التحول الرئيسية في حياة رفاعة رافع الطهطاوي؟

– ما هي أهم القضايا السياسية والإجتماعية والإقتصادية التي تناولها الطهطاوي في كتابه؟

– ما هي أهم النظريات والتحديثات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في فكر رفاعة الطهطاوي التي عالجه في كتابه؟

- **الدراسات السابقة :**

من الدراسات السابقة التي درست الطهطاوي نجد :

- محمد عمارة بعنوان "رفاعة رافع الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث" والذي ذكر فيه بداية انطلاق رفاعة ومسيرته وأهم محطاته وطليعة فكره السياسي والإجتماعي.
- كذلك جمال الدين الشيال بعنوان "رفاعة رافع الطهطاوي زعيم النهضة الفكرية في عصر محمد علي" ويعتبر أول كتاب يكتب عن رفاعة والذي تطرق فيه إلى نشأة رفاعة حتى سفره مبعوثا إلى باريس وعودته إلى مصر.
- كذلك حسن فوزي النجار بعنوان "رفاعة الطهطاوي رائد فكر وإمام نهضة" والذي تطرق فيه إلى بعض جوانب من أفكاره التي عاجها في كتابه مناهج الألباب.

- **المنهج المتبع :**

اتبعنا في طرحنا للموضوع على **المنهج التاريخي الوصفي** الذي يرتكز على سرد الوقائع التاريخية بحسب التسلسل الزمني **والمنهج التحليلي** من خلال تحليل الأحداث ومحاولة استخلاص المعلومات التي تخدم موضوعنا وإدراجها في المكان المناسب.

–

- **الخطة المعتمدة :**

ولمعالجة هذا الموضوع بطريقة أكثر تفصيلا وتوضيحا اعتمدنا في دراستنا على خطة تتكون من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.

بالنسبة **للمبحث الأول** فقد قسمناه إلى ثلاث مطالب بحيث تطرقنا فيه حول **بطاقة قراءة للكتاب** تناولنا فيه التعريف بشخصية الطهطاوي من حيث المولد والنشأة وآثاره وتوجهه الفكري، إضافة إلى التعريف بكتاب مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية من خلال عرض لمضمون الكتاب وإبراز أهميته.

أما **المبحث الثاني** فهو يندرج تحت عنوان **القضايا السياسية والثقافية والفكرية من خلال كتاب مناهج الألباب المصرية**، قسمناه إلى مطلبين بحيث يدور مضمونه حول الوضع السياسي في مصر في فترة محمد علي والذي شمل بداية مولد ونشأة محمد علي ووصوله إلى الحكم والسياسة التي اتبعها للنهوض بمصر، كما تطرقنا إلى الوضع الثقافي والفكري من خلال إنشائه للمؤسسات التعليمية وإرساله للبعثات العلمية.

أما بخصوص **المبحث الثالث** فقد جاء بعنوان **القضايا الاقتصادية والاجتماعية** وقد قسمناه هو الآخر إلى مطلبين تعرضنا فيه إلى الوضع الاقتصادي من خلال الزراعة والصناعة والتجارة، ثم الوضع الاجتماعي والعمراني.

أما **المبحث الرابع** فهو يندرج تحت عنوان **النظريات والتحديثات السياسية والإجتماعية والإقتصادية في فكر رفاعة رافع الطهطاوي من خلال كتاب مناهج الألباب المصرية** قسمناه أيضا إلى مطلبين خصصنا فيه للحديث عن النظرية السياسية والاجتماعية وأوردنا أ[رز القسمات السياسية في الفكر السياسي عند الطهطاوي إضافة إلى قضية التمدن، كذلك النظرية الإقتصادية.

وفي نهاية هذا البحث تأتي الخاتمة لتستعرض أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج إضافة إلى قائمة البيبلوغرافيا والملاحق وقائمة الفهارس.

- **التعريف بأهم المصادر والمراجع :**

اعتمدنا في بحثنا هذا على عدة مصادر من أهمها :

- "**حلية الزمن بمناقب خادم الوطن**" لمؤلفه السيد صالح مجدي، والذي يحتوي على على ترجمة دقيقة وافية لرفاعة ودراسة لا بأس بها لحياته في مراحلها المختلفة باعتباره من تلاميذ رفاعة وأقربهم إليه.
- "**عصر محمد علي**" لعبد الرحمن الرافعي، والذي ساعدنا في تحليل موضوع الكتاب عن فترة محمد علي باعتباره عايش فترة قدوم محمد علي بكل أحداثها إلى غاية وفاته.
- إضافة إلى مصدر آخر وهو "**رفاعة الطهطاوي بك أحد أركان النهضة العلمية العربية**" لمؤلفه أحمد أحمد بدوي والذي تطرق فيه إلى عصر رفاعة ونشأته ونظريته السياسية.

أما عن أهم المراجع التي اعتمدنا عليها في بحثنا منها :

- "**الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي التمدن والحضارة والعمران**" لمؤلفه محمد عمارة والذي ساعدنا في التعرف على مولد وعصر رفاعة الطهطاوي وتوجهاته الفكرية.
- "**الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة**" لمؤلفه نازك سابايارد والذي ساعدنا في التعرف على النظرية الإقتصادية في فكر الطهطاوي خاصة قضية العمل.
- "**الإسلام والحضارة الغربية**" لمؤلفه محمد محمد حسين والذي ساعدنا في توضيح جوانب الفكر السياسي عند الطهطاوي.
- "**محمد علي باشا بدايات قاسية ومجد عظيم**" لمؤلفه نشأت الديهي والذي ساعدنا في معرفة مجرى الأحداث التي أعقبت وصول محمد علي إلى الحكم وجوانب من إصلاحاته عقب توليه الحكم.
- إضافة إلى "**المجلات**" التي تناولت رفاعة الطهطاوي والتي خدمت الموضوع بشكل كبير.

➢ **صعوبات الدراسة :**

– صعوبة استخراج المادة التاريخية من المكتبات المختلفة نظرا لإنتشار جائحة كورونا (كوفيد–19) ما أدى إلى غلق كل المكتبات.

– صعوبة التعامل مع الكتاب نضرا لتشعب مواضيع الكتاب.

وفي الأخير نأمل أن نكون قد أضفنا للصرح العلمي ولو بالجزء القليل، ونرجو أن يوفقنا الله تعالى في إنجاز هذا البحث العلمي الذي هو ثمرة مشوارنا الدراسي.

المبحث الأول: بطاقة قراءة للكتاب

المطلب 1: التعريف بشخصية الطهطاوي.

- **مولده ونشأته**
- **عصره، وفاته وأثاره**

المطلب 2 : التعريف بكتاب مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية.

- **دراسة للمُؤلف (الكتاب).**
- **مضمون الكتاب.**

المطلب 3: أهمية الكتاب

- **أراء حول الكتاب**
- **القيمة التاريخية للكتاب**

كثيرة هي الدراسات التي تناولت الفكر التنويري العربي وعصر النهضة، خلال القرن التاسع عشر متطرقة إلى روادها الأوائل في البلاد العربية ومبرزة تطلعاتهم و آمالهم للإستفادة من المدنية الأوروبية، بعدما اكتشفوا التخلف الذي عليه بلدانهم.

ولعل من أبرزهم نجد **رفاعة رافع الطهطاوي**، الذي يعتبر زعيم النهضة العربية في مصر، ولذلك إهتم عدد من الباحثين العرب والأوروبيين بحياته وبعض مؤلفاته، وجهوده التي من خلالها إستطاع أن يبين السمات الأساسية للحضارة الحديثة، ومن ثم إمكانية الأخذ بجوانب كثيرة منها لبناء مجتمع إسلامي حديث.

المطلب 1: التعريف بشخصية الطهطاوي[1]:

1-1 مولده و نشأته:

ولد رفاعة رافع الطهطاوي ببلدة "طهطا"[2]، وهي إحدى مدن محافظة سوهاج بصعيد مصر في 15 أكتوبر سنة 1801، وكان نسب والده: بدوي بن علي بن محمد بن علي بن رافع، يتصل عبر عدد من أشراف الصعيد وعلمائه وقضاة الشرع فيه، ماراّ بالأئمة: جعفر الصادق، ومحمد الباقر، وزين العبدين....، أما أمه السيدة فاطمة بنت الشيخ أحمد الفرغلي، فإن نسبها يرتفع عبر العديد من العلماء والصالحين إلى الأنصار، وإلى قبيلة "الخزرج" بالتحديد[3].

[1] أنظر الملحق رقم 01 : ص109.

[2] يوسف زيدان، **فهرس مخطوطات مكتبة رفاعة رافع الطهطاوي**، معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ج1، القاهرة 1996، ص8.

[3] محمد عمارة ،**الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي ،التمدن والحضارة والعمران** ، د ط ، ج1 ، دار الشروق مكتبة الأسرة ، 2011، ص41 .

وكانت عائلة والد الطهطاوي من "الأشراف"[1] ذوي مال ويسار، وكان للأشراف في ذلك العصر إمتيازات مالية منها "الإلتزامات" والتي دخلوا بها في عداد الأغنياء أو الإقطاعيين.[2]

وكانت أسرة أخوال رفاعة زاخرة بالشيوخ والعلماء الصالحين: الشيخ محمد الأنصاري والشيخ عبد الصمد الأنصاري....، وكانت لبعضهم شروح على مؤلفات في النحو، ومنظومات على بعض "المتون"، وتخميسات لبعض دواوين الشعر وتقارير على بعض كتب الفقه في مذهب الإمام الشافعي.

وفي هذا الجو العلمي نمت مدارك رفاعة، ورعاه هؤلاء الأخوال، فحفظ "جميع المتون المتداولة في المعقول والمنقول" فقطع بذلك رفاعة في دراسة المنهج الذي كان يتلقاه يومئذ طلاب الأزهر الشريف.[3]

وعندما بلغ رفاعة السادس عشر من عمره، قررت والدته وأخواله بالجامع الأزهر في القاهرة، فركب نهر النيل من "طهطا" إلى القاهرة في رحلة ملاحية استغرقت نحوا من أسبوعين شاقين من الملاحة البدائية، حيث التحق بالأزهر في سنة 1817 بعد أن مضى نصف العام الدراسي الأزهري، ولقد أعانته الدروس التمهيدية التي تلقاها على يد أخواله "بطهطا" على مواصلة الدرس مع زملاء سبقوه إلى حلقات الدرس بنصف عام، كما ساعدته على ذلك مثابرته واستعداده الواضح للنبوغ[4].

---

[1] الأشراف: هو لقب جماعة من الناس يجمع بينهم القول بالانتساب إلى ذرية النبي محمد صل الله عليه وسلم، تشكلت منهم عبر التاريخ العربي الإسلامي طبقة اجتماعية مرموقة اكتسبت مكانتها من احترام المجتمع لنسبها، ظهر من بين أفرادها الكثير من العلماء الدينيين والمرشدين والخطباء... وفي الفترة الحديثة والمعاصرة تمكنت بعض الأسر من تأسيس دولة لها في العالم العربي، وقد كان لهذه العائلات دور منظور في الكثير من المسائل الهامة، وقد عُرف الأشراف بعدة ألقاب أخرى منها: آل البيت، السادة أو السيادة. للمزيد ينظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1416هـ -1997م، ص31.

[2] عمارة، مرجع سابق، ص41.

[3] للمزيد أنظر، عمارة، مرجع سابق، ص42.

[4] محمد عمارة، **رفاعة الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث**، ط3، دار الشروق، مصر، 2007م، ص42.

وفي العام الدراسي التالي انتظم رفاعة من بدايته في تلقين الدروس بالجامع الأزهر، واستمر في هذا الإنتظام ست سنوات، تأهل بعدها ليكون أحد العلماء الذين ينتقلون من ميدان التلمذة والطلب إلى مجال التدريس وفي الأزهر نفسه الذي تعلم فيه.[1]

وفي تلك السنوات تلقى رفاعة العلم من شيوخ الأزهر الأعلام، بل لقد أتيحت له الفرصة بفضل نظام الدراسة الحرة في تلك الجامعة العتيقة، أن يتتلمذ على يد عدد من الشيوخ الذين وصل بهم علمهم إلى تولي منصب مشيخة الأزهر الشريف.[2]

ومن أبرز الأساتذة الذين تتلمذ على يدهم نجد الشيخ "حسن العطار"(1766هـ-1835م)[3]، والذي تولى مشيخة الأزهر سنة 1870، وكانت له في حياة الطهطاوي العلمية والعملية مكانة الراعي والموجه والدافع إلى الأمام منذ دخوله الأزهر حتى سفره مبعوثا إلى باريس سنة 1826م، وكثيرا ما كان يلازم بيت الأستاذ المذكور في غير الدروس ليتلقى عنه علوماً أخرى كالتاريخ والجغرافيا والآداب[4]، حتى وصل بعد سنين قليلة إلى درجة العلماء الأعلام[5].

لقد بدأت أولى محاولات رفاعة في ميدان التأليف وهو لا يزال طالب بالجامع الأزهر، فنظم أرجوزة في التوحيد حازت على إعجاب الشيخ الفاضلي، وطلب منه أحد الشيوخ

---

[1] عمارة، رفاعة الطهطاوي...، مرجع سابق، ص43.

[2] نفسه، ص43.

[3] حسن العطار: العلامة شيخ الإسلام حسن بن محمد العطار المصري، المولود بالقاهرة في حدود سنة 1180هـ/1766م ونشأ في رعاية والده الشيخ محمد كتن، سمع من أهله أنه مغربي الأصل، قدم بعض أسلافه مصر واستوطنوها، وكان والده عطارا صغيرا له المام بالعلم وكان يصطحبه معه إلى الدكان ويعلمه البيع والشراء، ولشدة ذكائه وحدة فطنته كان يميل إلى التعليم، ولما رأى والده فيه هذه الرغبة ساعده حتى أتم حفظ القرآن، ثم أقبل على طلب العلم وجّد في التحصيل مع كبار المشايخ، وظل إشعارا لمختلف العلوم إلى أن ولى مشيخة الأزهر، توفي في آخر سنة 1250هـ. ينظر: أحمد تيمور باشا، **أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث**، دط، مؤسسة هنداوي، المملكة العربية المتحدة، 2017، ص ص 17-21.

[4] عمارة،الأعمال الكاملة...، مرجع سابق ص ص 44- 45.

[5] السيد صالح مجدي، **حلية الزمن بمناقب خادم الوطن سيرة رفاعة رافع الطهطاوي**، تح :جمال الدين الشيال، دط، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، د س ن، ص23.

تأليف خاتمة لكتاب " إبن هشام" (قطر الندى وبل الصدى)، وحازت هذه الخاتمة إعجاب أستاذه، فختم بها دروسه التي ألقاها ذلك العام... وكان رفاعة يومئذ في سن العشرين.[1]

ولم يكن جهاد الطهطاوي سنوات درسه بالأزهر مخصصاً كله للدرس والتحصيل فلقد كان الطالب الذكي الطموح يعاني من عسر مالي لازم الأسرة منذ الطفولة، وكانت والدته الصامدة الصبورة تجتهد لتعين ولدها على طلب العلم بثمن ما تبيعه من الحلي والعقار التي بقيت لديها من اليسار، بل لقد احترف رفاعة العمل بالتدريس أثناء درسه بالأزهر، كما عمل مُدرساً بالمدرسة الخاصة التي أنشأها، فأحترف صناعة التدريس في قصور الأثرياء كي يستعين بدراهمهم على بلوغ الغايات الطموحة التي رحل في سبيلها من طهطا إلى ساحات الأزهر الشريف.[2]

وفي سنة 1821م تخرج رفاعة من الجامع الأزهر، وكان عمره واحد وعشرين عاما، فجلس في التدريس في الجامع الأزهر نفسه بعد أن أثبت جدارة في هذا العمل الذي كان خاضعاً يومئذٍ للكفاءة والتجربة وحُكم الطلاب الدارسين، فلقد كانت الدراسة حرة، يقبل الطلاب على من يلتمسون الاستفادة منه، وينصرفون عمن لا يزودهم بما هو هام ومفيد.[3]

ألقى الطهطاوي على طلبته دروساً في علوم شتى، منها علوم الحديث والمنطق والبيان والبديع والعروض وغيرها... وكما يقول تلميذه ومؤرخ حياته صالح مجدي: أن درسه كان غاصا بالجمع الغفير من الطلبة، وما منهم إلا من إستفاد منه، وبرع في جميع ما أخذ عنه، لما علمت من أنه كان حَسَن الأسلوب سهل التعبير، مدققاً ومحققاً، قادراً على الإفصاح عن المعنى الواحد بطرق مختلفة، بحيث يفهم درسه الصغير والكبير بلا مشقة

[1] عمارة، الأعمال الكاملة...، مرجع السابق، ص45.
[2] نفسه، ص46.
[3] نفسه، ص46.

ولا تعب ولا كد ولا نهب، وكان إذا أراد أن يغوص في المعاني الدقيقة، ويعترض ويجيب ويخطئ، ويصيب وبجميع الفروع لأصولها.[1]

1-2 عصره وفاته وأثاره:

أ- عصره:

كان ميلاد رفاعة الطهطاوي رائد الفكر العربي الحديث في عام عرف حدثين لهما أهميتها في تاريخ مصر، فقد عادت الحملة الفرنسية دون أن تحقق طموحها السياسي، وحضر محمد علي إلى مصر في نفس العام (1216- 1801).[2]

فكان هذا القائد بمثابة المنقذ لمصر من تعديات الحملة الفرنسية، وإعادة مصر إلى مصاف البلاد التابعة للدولة العثمانية[3]، وبالتالي كانت أولى المحاولة للتحديث، إذ قام محمد علي بإعادة تنظيم أمور الدولة ليفيد من العلم والتكنولوجيا الغربية.[4]

وفي سنة 1826م قررت الحكومة المصرية إيفادأكبر بعثاتها العلمية وأهمها إلى فرنسا، كي يطلب طلابها العلم الحديث هناك، وكانت هذه البعثة هي الإطلالة الهامة والحقيقية للعنصر المصري والعربي على الحضارة الأوربية الحديثة في مواطنها وديارها... ذلك أن المجموعة التي هربت من مصر في ركاب جيش الحملة الفرنسية المنسحب سنة 1801م، قد ذابت في المجتمع الفرنسي "فتفرنست" وإنقطعت صلتها بالوطن، علاوة على شبه الخيانة والتعاون مع المحتل التي طبعت علاقتهم مع الفرنسيين... فلا تدخل ثقافتهم

---

[1] عمارة، الأعمال الكاملة...، مرجع سابق ص ص 46-47.

[2] محمود فهمي حجازي، **أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي**، دار غريب ،القاهرة، 1974، ص9.

[3] الغالي غربي، **دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288م- 191م**، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 178.

[4] عبد العزيز الدوري، **التكوين التاريخي للأمة العربية، دراسة في الهوية الوعي**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984، ص133.

ولا ثمرات فكرهم في إطار ما نعنيه بالإطلالة المصرية العربية الحقيقية والهامة على حضارة أوربا في باريس.[1]

كانت البعثة التي أرسلها محمد علي إلى فرنسا سنة (1818) تستهدف دراسة الفنون الحربية والبحرية... ولم يعرف من طلابها إلا طالب واحد هو " عثمان نور الدين أفندي" الذي عاد إلى مصر سنة 1820م وتولى المناصب العسكرية.[2]

أما هذه البعثة التي صحبها رفاعة الطهطاوي إلى باريس سنة1826 فإنها كانت بحق الإطلالة الهامة والحقيقية للعنصر الوطني على الحضارة الأوربية في ربوعها، ولم يكن رفاعة طالب من طلاب هذه البعثة، بل رشحه لصحبتها الشيخ الحسن العطار كي يقوم لطلابها بالوعظ والإرشاد ويؤمهم في الصلاة.[3]

وكان رفاعة قد قرر أن يدرس مع طلاب البعثة، وأن يتجاوز مهمة الواعظ والإمام، فبدأ منذ وصول البعثة إلى مرسيليا، وحتى قبل الذهاب إلى باريس في دراسة اللغة الفرنسية، فتعلم التهجي، وأمام هذه المبادرة من رفاعة نحو التعلم والإنتظام في سلك الدارسين صدرت أوامر الحكومة المصرية بضمه إلى أفراد البعثة، بحيث يتخصص في الترجمة لتميزه عن الكثير من زملائه في التفوق في اللغة العربية وثقافته الأزهرية، فإذا ما ضم إلى العربية وتراثها الفرنسية وعلومها كان مؤهلا للنهوض بالترجمة أكثر من الآخرين.[4]

وتحت إشراف"جومار"[5] قضت البعثة عاماً تسكن في منزل واحد،

---

[1] عمارة، الأعمال الكاملة، مرجع سابق، ص48.

[2] عمارة، الأعمال الكاملة...، مرجع سابق، ص49.

[3] نفسه، ص ص49-50.

[4] عمارة، رفاعة الطهطاوي...، مرجع سابق، ص ص 55-56.

[5] جومار: هو أحد العلماء الأنستتوت(بفتح الهمزة وسكون النون وكسر السين) أي مشورة العلماء وأكابرهم، والذي يتراءى في طبعه ويُشاهد منه دائما أنه يرغب في الاعتناء بمصالح مصر من جهة نشر المعارف والعلوم فيها، كما أنه رئيس البعثة التي أرسلها محمد علي إلى فرنسا وأحد علماء الحملة الفرنسية، الذين كانوا في مصر وأشرفوا على كتاب "وصف مصر"، وبعد انتهاء الحملة أعجب بمحمد علي وقرر البقاء فيها. للمزيد ينظر: رفاعة رافع الطهطاوي، **تخليص الإبريز في تلخيص باريز**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر 201م،ص32. وأيضا: محمد سليمان، **رفاعة الطهطاوي.. رؤية من قريب**، مكتبة الإسكندرية، ص9.

ثم توزع أفرادها في بنسيونات متعددة، حتى تتاح لهم فرص الاختلاط مع الكثير من الفرنسيين.[1]

حيث وصف الطهطاوي الفترة الأولى من الدراسة في باريس على النحو التالي: " ثم لما ذهبنا إلى باريس مكثنا جميعاً في بيت واحد، وابتدأنا في القراءة فكانت أشغالنا مرتبة على هذا النحو، وهو أننا كنا نقرأ في الصباح كتاب التاريخ ساعتين"، ودراسة الطهطاوي للتاريخ في فرنسا نقطة تحول مهمة في البحث التاريخي باللغة العربية، ولم تتمحور اهتماماته على التاريخ السياسي فحسب، بل تناول التاريخ الإجتماعي، كما أبدى إعجابه الشديد بمنتسكيو وبكتابه "أشبه بميزان بين المذاهب الشرعية والسياسية"، كما لقبه بإبن خلدون الافرنجي، وإلى جانب هذا قرأ أيضا كتاب العقد الاجتماعي لروسو[2].

وفي 28 فبراير وأول مارس سنة 1828م، عُقد أول إمتحان لأفراد هذه البعثة، وكان الإمتحان في الفرنسية، والرسم، والرياضة...وكان رفاعة من الناجحين وقدم له "جومار"جائزة هي عبارة عن كتاب.[3]

وفي سنة 1829 عقد الامتحان الثاني لأعضاء البعثة، ونجح الطهطاوي بتفوق، وكانت جائزة تفوقه هذه المرة كتابين من كتب أستاذه الذي كان يرأس علماء الإستشراق في عصره "سلفستر دي ساسى[4]".[5]

وفي 19 أكتوبر سنة 1830م، عُقد الامتحان النهائي لرفاعة الطهطاوي وباشر امتحانه مجلس جمعية "جومار" حتى تتضح كما يقول الطهطاوي "قوة الفقير في صناعة الترجمة

---

[1] عمارة، رفاعة الطهطاوي...، مرجع سابق، ص 56.
[2] حجازي، مرجع سابق، ص ص 14،21
[3] عمارة، الأعمال الكاملة...، مرجع سابق، ص 54.
[4] سلفستر دي ساسى: مستشرق فرنسي مولده ووفاته بباريس، كان واسع الإطلاع على اللغات الشرقية فضلا عن الغربية، تعلم اللاتينية واليونانية وآدابها في بيته، ثم أنقطع إلى العربية والفارسية، قضى حياته في التعليم والتأليف والنشر وكان أستاذا للعربية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس سنة 1795م، ومنح لقب بارون" سنة 1813م، وهو أحد الذين عملوا على إسقاط نابليون الأول سنة1814م. للمزيد ينظر: خير الدين الزركيلي، **الأعلام قاموس تراجم**، ط15،ج2، دار العلم للملايين، لبنان،2002، ص27.
[5] عمارة، الأعمال الكاملة...، مرجع سابق، ص57.

التي إشتغلت بها مدة مكثي في فرنسا"، وتقدم رفاعة إلى لجنة الامتحان بالانجازات التي قام بها في ميدان الترجمة.[1]

وفي سنة 1831م عاد الطهطاوي إلى مصر من بعثة في باريس، وكانت قد سبقته إلى محمد علي ودوائر حكومته تقارير أساتذته، وخاصة جومار المشرف على بعثات محمد علي إلى فرنسا، تحكي تفوقه وتلفت إليه النظر، وتعلق عليه الآمال.[2]

وكانت أولى الوظائف التي تولاها رفاعة بعد عودته من باريس، هي وظيفة مترجماً بمدرسة الطب بالقاهرة، ثم انتقل بعد سنتين مترجما بمدرسة الطوبجية فترجم بعض الكتب الهندسية والجغرافية، كما قام بإنشاء مدرسة خاصة لتدريس التاريخ والجغرافيا، والتي كانت النواة الأولى لمدرسته الألسن.[3]

حيث تقدم إلى محمد علي إنشاء المدرسة التي كان يخطط لإنشائها (مدرسة الألسن)، وكانت تُسمى أول ما فتحت سنة 1835م مدرسة الترجمة، ثم تغير أسمها بعد ذلك إلى مدرسة الألسن.

وفي سنة 1841م شرعت هذه المدرسة بأخذ الشكل والمضمون الحقيقي للجامعة المدنية، وكانت تدرس لطلبتها آداب العربية وخاصة الفرنسية والايطالية وعلوم التاريخ والجغرافيا، كما أُحيلت له مسؤولية مهام أخرى، ولم يكن رفاعة أول منشئ لجامعة مدنية عربية فقط بل وأول عربي أنشأ متحفاً لآثار مصر وخطط لجمعها وصيانتها.[4]

---

[1] عمارة، رفاعة الطهطاوي...، مرجع سابق، ص 61.
[2] عمارة، رفاعة الطهطاوي...، مرجع سابق، ص65.
[3] جمال الدين الشيال، **التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 2000م، ص ص50- 53.
[4] عمارة، الأعمال الكاملة...، مرجع سابق، ص ص 68-64.

وفي سنة 1845م ترجم رفاعة مجلداً آخر من "جغرافية ملطبرون"[1] فكافأه محمد علي على ذلك وصار يدعى منذ ذلك التاريخ "رفاعة بك".[2]

ومن خلال هذه العملية الحضارية الكبرى التي قادها وساهم فيها الطهطاوي حتى آخر عهد محمد علي وخلفه إبراهيم باشا[3]، وضعت أسس عصر النهضة في مصر التي كانت طليعة الأمة العربية وشعوب الشرق.[4]

وفي سنة 1848م توفي حاكم مصر إبراهيم باشا، فخلفه الخدوي عباس الأول[5] في نفس العام، ولما توفي محمد علي استقل عباس بحكم البلاد دون أن تقيد سلطاته المطلقة أي قيود، وقام بنفي الطهطاوي إلى السودان.

ولقد كان إنفراد عباس بالسلطة سنة 1849م التعبير عن نجاح هذا التيار الرجعي الإقطاعي في الانقلاب على عصر التنوير الذي ساد البلاد، فأصاب التحلل مؤسساتها الفكرية والثقافية والتربوية.[6]

---

[1] جغرافية ملطبرون : هي عبارة عن كتاب وجغرافية تاريخية أشتهرت في جميع ممالك أوربا، وقد عرب رفاعة من هذا الكتاب عدة مجلدات وبقيت منه مجلدات أخرى بلا تعريب. للمزيد ينظر : مجدي، مصدر سابق، ص 62.

[2] بك: مصطلح تركي يطلق على كبار القادة، وقد اعتمده العثمانيون كلقب لحاكم الولاية أو المقاطعة، ولم يشع هذا المصطلح الا بعد سيطرة الأتراك على البلاد العربية. للمزيد ينظر: محمود عامر، **المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية**، مجلة دراسات تاريخية، ع117، د ب ن، 2012ص 369.

[3] إبراهيم باشا : ولد في سنة 1204 هجري في قولة في بلاد اليونان، واسند السلطان العثماني أمرا بإسناد ولاية مصر إليه سنة 1264 عندما ضعفت القوى العقلية لمحمد علي ولم يعد يصلح للولاية، إلا ان إبراهيم باشا توفي سنة 1265 حيث لم يستمر طويلا في الحكم رغم ما قام به من جهود حربية كبيرة لتحقيق امال وطموحات والده في الشام والجزيرة. للمزيد ينظر: عايض بن خزّام الروقيي، **حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي، اشر : محمد عبد اللطيف البحراوي، جامعة أم القرى، 1985، ص24.

[4] عمارة، الأعمال الكاملة...، مرجع سابق، ص 74.

[5] الخدوي عباس الأول: هو عباس باشا ابن طوسون بن محمد علي ثالث الولاة من أسرة محمد علي بمصر، ولد بجدة ونشأ بمصر، وتولى الحكم بعد وفاة عمه ابراهيم باشا وكان شديد الكره للأوربيين حذرا من دسائسهم، وفي أيامه أنشأة المدرسة الحربية في العباسية وبوشرانشاء سكة الحديد بين القاهرة والاسكندرية، ونفي السحرة والدجالون الى السودان وأغلق كثير من المعاهد والمدارس وأهملت المصانع والات الصناعة، واستمر ذلك الى أن قتل في بنها. للمزيد ينظر: الزركلي، ج3، مرجع سابق، ص261.

[6] عمارة، الأعمال الكاملة...، مرجع سابق، ص75.

خلف الخدوي سعيد[1] سلفه عباس الأول في حكم مصر سنة 1854م، فقام هذا الأخير بالسماح للمنفيين إلى السودان بالرجوع إلى مصر، فكان طبيعيا أن يبعث رفاعة الحياة في المؤسسات الفكرية والثقافية والتربوية التي نمت في عهد محمد علي وإبراهيم، وأُغلقت في عهد عباس، لكن اهتمامات الخدوي كانت عسكرية في معظمها.[2]

وعندما جاء الخدوي إسماعيل[3] إلى الحكم سنة 1863م، عادت لرفاعة حيويته وازدهرت أنشطته وفُتحت أمامه مرة أخرى أبواب العمل في مجالات التعليم وميدان الترجمة[4].

ب- وفاته:

قضى رفاعة حياته في العمل النافع وظل على نشاطه ودأبه على الإنتاج حتى أوفى الخامسة والسبعين، فنالت منه الشيخوخة ونال منه المرض[5]، حتى توفي سنة 1290هـ-1873م[6]، بعد أن إشتد عليه داء (النزلة المثانية)، وكانت قد أصابته من قبل، فتخلص منها أول مرة ثم عاودته ثاني مرة فنجا منها لفسحة في أجله، ثم أدركته في الدفعة الثالثة

[1] الخدوي سعيد: هو محمد سعيد باشا بن محمد علي الكبير من ولاة مصر، ولد في الاسكندرية وتعلم في مدارس القاهرة وولى مصر بعد وفاة عباس الأول سنة 1270 هجري، زار سورية سنة 1276 وبنيت في أيامه مدينة بور سعيد فسميت باسمه ومنع الاتجار بالرقيق وحرر الموجودين منهم بمصر، وفي أيامه بوشر بحفر قناة السويس سنة 1276 هجري، توفي ودفن في الاسكندرية. للمزيد ينظر: الزركلي، ج6، مرجع سابق، ص140.

[2] عمارة، رفاعة الطهطاوي...، مرجع سابق، ص95.

[3] الخدوي إسماعيل: هو الخديوي إسماعيل باشا بن إبراهيم غبن محمد علي باشا الكبير، وهو الخامس ممن تولى الحكم من العائلة الملكية وأول من لقب بالخديوي، ولد سنة (1245هـ-1830م) بالقاهرة، ثم سافر إلى فرنسا ولما أتم علومه سافر إلى الأستانة، وعين عضوا في مجلس الأحكام، ثم عاد إلى مصر وتولى حكمها في سنة 1279هـ، وكان من أهم أعماله أنه شيد الأبنية وانشأ المشروعات النافعة ومن أهمها افتتاح قناة السويس سنة 1286هـ-1869م، وجعل القاهرة تضاهي مدينة باريس، توفي سنة 1312هـ-1890م، في الأستانة ونقلت الهجري جثته إلى القاهرة. للمزيد ينظر: إبراهيم ابن عبد الله الحازمي، **موسوعة أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر في العالم الغربي والإسلامي**، ج1، ط1، دار الشريف، 1419هـ، الرياض، ص854-855.

[4] عمارة، **رفاعة الطهطاوي...**، مرجع سابق، ص99.

[5] جمال الدين الشيال، **رفاعة الطهطاوي زعيم النهضة الفكرية في عصر محمد علي**، دط، دار أجيال الكتب العربية، الإسكندرية، 1945، ص124.

[6] عمر الدسوقي، **في الأدب العربي**، ج1، ط8، دار الفكر، د س ن، القاهرة، ص44.

فلازم الفراش ولم تنفك عنه حتى مات وودعته مصر الوداع الحار الجدير برجل وهبها علمه وسعى حياته[1].

ج- آثار رفاعة الطهطاوي:

لقد توزعت جهود الطهطاوي الفكرية والثقافية في محورين كبيرين: الأول هو الترجمة، والثاني هو التأليف، أما الهدف العام والأساسي الذي أستهدفه من كل جهوده هو بعث الأمة وتنويرها، وقد بلغت هذه المؤلفات نحواً عن عشرين مؤلفاً شملت معظم جوانب الحياة الإنسانية من شعر وآداب وتاريخ واجتماع وغيرها ومن أهمها نذكر:

1- "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" أو "الديوان النفسي بإيوان باريس ": وهو الذي كتبه الطهطاوي ليصدر فيه رحلته إلى باريس، وطبع في حياته مرتين، وقد نقل فيه كثيرا من مشاهداته في باريس وعادات أهلها وصفاتهم الحضارية مقارنا أحيانا بينهم وبين المصريين، كل ذلك من أجل بعث الهمة فيهم، ودفعهم إلى الرقي والتحضر.[2]

2- "أنوار توفيق الجليل في أخبار بني إسماعيل" 1868م: ويظهر من عنوان هذا الكتاب مدى ولاء الطهطاوي للخديو[3]توفيق[4]، وهو ولاء شبيه بولاء علي مبارك[5]

---

[1] حسن فوزي النجار، **رفاعة الطهطاوي رائد فكر وإمام نهضة**، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ب ن، 1987، ص177.

[2] عبد الكريم عبد الرحمان علي، **دور الفكر التربوي لشوكاني والطهطاوي للتأسيس للنهضة والتطوير خلال القرن التاسع** عشر، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2005، ص ص 91-92.

[3] خديو: بكسرتين وهي كلمة فارسية بمعنى ملك ووزير وأمير عظيم ووحيد عصره، وهي من ألقاب الصدر الاعظم عند العثمانيين ثم خلع هذا اللقب على ولاة مصر، و أول من منح هذا اللقب من ولاة مصر من قبل العثمانيين هو الخذيو اسماعيل باشا وذلك عام 1866م. للمزيد ينظر: حسين مجيب المصري، **معجم الدولة العثمانية**، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1425-2004م .

[4] توفيق: هو توفيق باشا بن إسماعيل باشا ابن إبراهيم باشا، ولد سنة 1852م، وهو سادس حكتم مصر من أسرة محمد علي، تولى الحكم سنة 1879م، بعد خلع والده، قامت ضده الثورة العرابية 1881م، لأنه كان متواطئا لبريطانيا في عهده احتلت بريطانيا مصر سنة 1882م. ينظر: مجدة بوعبد الله، **الحماية البريطانية على مصر 1882-1956م**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، إشر:الأميربوغدادة، جامعة بسكرة، 2018-2019م، ص18.

[5] علي مبارك: ولد "ببرنبال" باحدى القرى التابعة لمصر، كان والده الشيخ المبارك يقوم بكل الشؤون الدينية في القرية فهو امام مسجدها بشر به وسلم له في يده ليبارك عليه وأذن في أذنه أملا فيه أن يكون خليفة في سلسلة "المشايخ" يرث الامامة والخطابة ولافتاء لأهل الرأي عن ابيه، وعلى هذا المنهج أرسله والده ليتعلم على يد الفقهاء ودخل مدرسة قصر العيني ثم دخل مدرسة المهندسخانة ببولاق درس فيها كل فروع الهندسة وما اليها حتى أتمها. للمزيد ينظر : أحمد امين، **زعماء الاصلاح في العصر الحديث**، دط، مؤسسة هنداوي، مصر، 2012.

الذي أطلق اسم الخديو توفيق على خططه وسماها "الخطط التوفيقية".

3- "نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز" طُبع سنة 1979م في ثلاثة أجزاء وقدم لإحدى طبعاته الدكتور فاروق أبو يزيد.[1]

4- "التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية" 1869م: وهو كتاب في علم النحو وقد حققه الدكتور البدراوي زهران، ونشره سنة 1983م تحت عنوان "رفاعة الطهطاوي ووقفة مع الدراسات العربية الحديثة مع تحقيق نص كتابة التحفة المكتبية"[2]

5- "المرشد الأمين في تربية البنات والبنين": وهو كتاب في الآداب والتربية العامة والطرق السليمة لتعليم البنات والبنين وتهذيبهم، أورد فيه رفاعة خلاصة فكره الإجتماعي والثقافي وموقفه من قضية المرأة المصرية فدعا إلى تعليمها وفتح أبواب العلم أمامها، كما تحدث فيه عن الوطن والتمدن والحريات العامة.[3]

6- "مناهج الألباب المصرية في الآداب العصرية": ويشتمل على مواد أساسية وادب وأخلاق وعوائد وصرف وصنائع وعلوم وفنون، وقد ألفه خدمة لوطنه[4] وفي "مناهج الألباب" فصول عديدة تتناول ما أجراه محمد عي من اصلاحات بعد تطهير البلاد من المماليك[5]، كما خصصه لمعالجة التمدن وأودع فيه فكره الاجتماعي، وصنف فيه نخبة جليلة من المنافع العمومية التي بها للوطن توسيع دائرة التمدنية، اقتطفها من ثمار الكتب العربية اليافعة، واجتناها من مؤلفات الفرنساوية النافعة.[6]

---

[1] محمد الجوادي، **الجامع الأزهر باعث شرارة النهضة الموسوعية العربية الحديثة**، ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012، ص31.

[2] نفسه، ص31.

[3] أسماء سليماني، **من أنوار بعث حركة الترجمة العربية بريادة رفاعة رافع الطهطاوي**، مجلة سراج، العدد (01)، 2019م، ص54.

[4] مجدي، مصدر سابق، ص 63.

[5] لويس عوض، **تاريخ الفكر المصري الحديث من الحملة الفرنسية الى عصر اسماعيل**، ط4، مكتبة مديولي، القاهرة، 1987م، ص310.

[6] عبد الرحمن علي، مرجع سابق، ص ص 92-93.

❖ أما بالنسبة لترجماته فكانت كثيرة وشملت عدة أصناف، ومن الكتب التي ترجمها ووضع لها قاموس مصطلحاته مثلا كتاب: (قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر)، فقاموس مصطلحاته يستغرق من ص2 حتى ص 105.[1]

❖ كذلك " القول السديد في الاجتهاد والتجديد": وهو بحث في موضوع الاجتهاد في الإسلام، والذين يأتون ليجددوا لهذه الأمة أمر دينها، نشره كملحق (لروضة المدارس) ثم طُبع ككتاب.

❖ " تعريب القانون المدني الفرنسي": طُبع سنة 1866م.

❖ أصول الحقوق الطبيعية التي تعتبرها الإفرنج أصلا لأحكامهم: ولم تطبع هذه الترجمة، ولكن رفاعة قد أشار في تخليص الإبريز إلى أنه ترجمها وهو في باريس.

❖ " نبذة في تاريخ إسكندر الأكبر": وهي مأخوذة من تاريخ القدماء... ترجمه وهو في باريس.

❖ " تقويم" سنة 1244هـ...الذي ألفه لمصر "جومار" ترجمه وهو بباريس.

❖ " قطعة من عمليات رؤساء ضباط العسكرية": ترجمها وهو بباريس، إلى جانب عدد من المترجمات التي أضافها عند الطبع إلى كتب أخرى من نفس فنها[2].

د- توجهاته الفكرية:

اختلف فكر الطهطاوي في مؤلفاته من كتاب إلى آخر، ولم يحصر جهوده في نطاق الفكر الذي تتميز به حركة "المثقفين" بالمعنى الخاص والضيق، وإنما كان "مثقفاً" فهم "الثقافة" بمعناها العام، وقدم لشعبه و أمته زادا ثقافياً في مختلف جوانب الحياة.[3]

فعندما نطالع كتاب "مناهج الألباب"نجد فيه فكراً وثقافة للفكر في الاقتصاد والاجتماع والسياسة، وفكراً للفلاح في الزراعة، والتربة والثروة الحيوانية، وميزات الصوف الذي

[1] عمارة، **الأعمال الكاملة...**، المرجع السابق، ص94.
[2] عمارة، **رفاعة الطهطاوي...**، مرجع سابق، ص ص 124، 129
[3] للمزيد أنظر، عمارة، **الأعمال الكاملة...**، مرجع سابق، ص89.

تغطيه أغنام "المارينوس"...الخ وفكراً وثقافة للطبيب، وللمهندس وللمعماري، وثقافة للعسكريين والمدنين على السواء، وزاد للبسطاء وللمتفلسفين وللحاكمين والمحكومين.[1]

فالخلاصة أن الطهطاوي شمل في هذا الكتاب عدة مجالات فكراً وثقافة .

امتاز فكر الطهطاوي على الكثير من المثقفين والمفكرين، ومن ثم فإن الرجل لم يكن ناقلا عن الغير، وإنما كان يقدم فكراً مصريا عربيا مستنيرا لأمته كي تتجاوز بواسطته عصور التخلف.

فالهدف العام والأساسي والجوهري الذي أستهدفه الطهطاوي من كل جهوده، وهو بعث الأمة وتنويرها، نراه محوراً لكل المؤلفات التي أبدعها الرائد العظيم، ففي كتابه الأول (تخليص الإبريز) الذي كتبه عن رحلته إلى فرنسا، ينبه على أنه قد قصد من ورائه (كشف القناع عن محي هذه البقاع) لا من باب المتعة والترف وأحاديث السائحين، وإنما يتحدث الطهطاوي كيف أنطق كتاب رحلته هذا (بحث ديار الإسلام على بحث عن العلوم البرانية، والفنون والصنائع، فإن كمال ذلك ببلاد الإفرنج ...)[2].

ونفس الموقف الهادف نجده في الكتاب الأخير لرفاعة (نهاية الإنجاز في سيرة ساكن الإحجاز)، فهو لا يؤرخ لسيرة الرسول _صل الله عليه وسلم_ لمجرد التعبد ونيل الثواب، وهو لا يتحدث عن البناء السياسي والاقتصادي والقضائي للدولة الإسلامية الأولى، ودواوينها ووظائفها، يهدف البحث التاريخي المجرد وإنما يكتب هذا التاريخ كي يتعلم منه الذين يبنون الدولة العصرية في زمنه فيحذو حذو بعض القدماء الين استهدفوا من كتابة تاريخ الدولة على عهد الرسول _صل الله عليه وسلم_ أن يعلم الذين يتولون الوظائف

[1] عمارة، الاعمال الكاملة...، مرجع سابق، ص89.
[2] نفسه، ص ص 90-96.

المعاصرة، أن عملهم هذا عمل شريف، سبق الرسول _صل الله عليه وسلم_ والصحابة أن مارسوا مثيله أو شبيهه.[1]

ولا يأتي رفاعة في كتابة السيرة بجديد، فنراه يسير على نهج من سبقه من المؤرخين مؤيدا من حيث المنطق الجدلي، ما سبق أن جاءوا به دون أن يلجأ إلى التحليل والاستقراء العلمي الذي فتح به "هيكل" نمطا جديداً في كتابة حياة الرسول الكريم _صل الله عليه وسلم_ من الناحية الحكومية الإسلامية على عهد النبي حين رأى في أعماله عليه الصلاة والسلام نواة للنظام الإسلامي في نموه وتطوره من بعد.[2]

أما كتابه المرشد الأمين للبنات والبنين فله أهمية كبيرة في دراسة فكره لما يحمله من إشارة على غيره من كتبه العديدة، والذي عرض فيه تعليم المرأة، ومالها من حقوق إجتماعية وأشار إلى أن العمل يصون المرأة ويقربها من الفضيلة، ويحمل الكتاب آراء جديدة على المصريين في الآداب والسلوك والتربية، وما يجب على المواطن لوطنه، وما للمواطن من حق الحرية والمساواة مع غير.[3]

ويقسم الطهطاوي الحرية إلى خمسة أقسام: حرية طبيعية كحق الإنسان في المأكل والمشرب والمشي، وحرية سلوكية وهي كما يقول حسن السلوك ومكارم الأخلاق وحرية دينية وهي حرية العقيدة والرأي والمذهب بشرط أن لا تخرج عن الدين، وحرية مدنية وهي حقوق العباد والأهالي الموجودين في مدنية بعضهم إلى بعض، والحرية السياسية أي الدولية، وهي تأمين الدولة لكل أحد من أهاليها على أملاكه الشرعية و المرعية، وإجراء حريته الطبيعية بدون أن تتعدى عليه في شيء منها.[4]

فنجد الطهطاوي أعتمد على ركيزتين هامتين في رسم إطار لذلك الفكر:

الأولى مستمدة من التراث القديم بجميع روافده الدينية والتاريخية والفكرية والفنية،

---

[1] عمارة، الاعمال الكاملة...مرجع سابق، ص 97.
[2] فوزي، مرجع سابق، ص143.
[3] نفسه، ص147 .
[4] نفسه، ص 151.

والثانية مستمدة من الفكر التنويري الفرنسي سواء عن طريق ما ذكره في "تخليص الإبريز"، أو في ترجماته للقانون الفرنسي والدستور وأناشيد الثورة الفرنسية، وبالطبع كان انحيازه الأكبر نحو الفكر العربي وان لم يتناسى آفاق جديدة للحياة والمجتمع وتربية البنات، اعتمد في الدعوة إلى تحقيقها على صيحات في الفكر الأوربي، وحين نستعرض كتب رفاعة المؤلفة والمترجمة سواء ما كان منها في مجال العلم أو الفكر أو الأدب، سوف نجد أنه كان حريصا على تطوير كافة نواحي الحياة، ابتداء من علاقة الإنسان بخالقه وانتهاء بشؤون البيت والأسرة، لذلك نراه في كتابه القيم "مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية " يقدم خلاصة شاملة لفكره سواء فيما يتصل بعلاقة الحاكم بالمحكومين، وضرورة تأسيس المجالس النيابية وتنظيم الإدارة الحكومية.[1]

إن رفاعة كان فكره مثقفا ملما بجميع الجوانب التي تمس الحياة الاقتصادية، الاجتماعية، والتعليمية ...الخ.

المطلب 2 / التعريف بكتاب مناهج الألباب المصرية:

2-1 دراسة الكتاب:

1- الجانب الشكلي للكتاب:

أ- العنوان: مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية.

ب- المؤلف: رفاعة رافع الطهطاوي.

ج- دار النشر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

د- بلد النشر: مصر.

هـ- سنة النشر: 26 أوت 2012م .

و- عدد الصفحات: 376 صفحة.

ز- حجم الكتاب: متوسط الحجم.

[1] طه وادي، **ديوان رفاعة الطهطاوي**، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1984م، ص5.

2-2مضمون الكتاب:

قام الطهطاوي بتقسيم الكتاب إلى خمسة أبواب، حيث يشتمل كل باب على أربعة فصول، تتدرج تحت كل فصل عنوان معين من المواضيع، حيث نجد المؤلف استهل كتابه بقائمة لمحتويات الكتاب دون التعرض على ما جاء فيها، ثم ندخل مباشرة في المقدمة.

❖ **الباب الأول:** جاء بعنوان "**في بيان المنافع العمومية من حيث هي وفي مواردها ومتفرقاتها وما يتعلق بها**" هذا الباب تضمن الفصول التالية: فيما تطلق عليه المنافع وبيان مواردها الأصلية وأنها دالة على التمدن والعمران، كذلك إن العمل الذي هو القوة الأولية في إبراز المنافع الأهلية في تطبيقه على الأرض الزراعية، وأيضا في تقسيم الأعمال الى منتجة للأموال وغير منتجة لها، كذلك في مدح السعي والعمل وذم البطالة والكسل.

حيث تطرق الكاتب بصفة عامة في هذا الباب إلى تعريف المنافع بمعناه الشامل، وما يعود عليها بالفائدة على المجتمع، كما حث على الاقتصاد في الإنفاق وترك الطمع والإسراف والتبذير، كذلك مشروعية التعاون على المنافع العمومية مستشهدا ذلك من بعض الآيات والأحاديث النبوية، كما تحدث عن بعض الفضائل الجامعة لأكثر المنافع العمومية، وتطرق إلى أهمية العمل والذي هو حسب رأيه أساس الغنى والسعادة ومنبع الأموال والإيواء، وأن الشغل يعطي قيمة لجميع الأشياء التي ليست متقومة بدونه، كما قسم العمل حسب أرباب الإدارات والتدبير إلى قسمين: منتج المال وغير المنتج، وفي الأخير تطرق إلى ذم البطالة والكسل واصفا الكسل بأم الخبائث، وانه ينهي عن إعمال الفكر والبدن، مؤكدا على أن الإنسان قادر بسعيه واجتهاده أن يبلغ المراتب العليا، وان المرء يشغل النفس بما يصلحه وإلا شغلته بما يفسده في إشارة منه إلى أن الفضائل والعمل تعود بالنفع على أهل الوطن وهذا ما يسمى بالمنافع العمومية.

❖ **أما الباب الثاني**، الذي جاء بعنوان " **في تقسيم المنافع العمومية إلى ثلاث مراتب أصلية وهي حركات الزراعة والتجارة والصناعة**" ، أدرجت فيه أيضا مجموعة من

الفصول تتضمن العناوين التالية: في تعريف المنافع العمومية بالمعنى العرفي الصناعي، ومنه يفهم إلى ما ذكر، كذلك حالة المنافع العمومية في الأزمان القديمة، وأنها كانت بسيطة سهلة لا تحتاج إلى شيء كبير، أن الأسفار والسياحات مما يعين على تقدم المنافع العمومية، في أن الصوريين وهم أهل سواحل الشام قدموا في سالف الأزمان التجارة والعلوم البحرية على وجه نافع.

وتضمن هذا الباب ما يطلق على المنافع العمومية في اللغة الفرنساوية والتي جاء مفهومها باسم "أندوستريا" أي التقدم في البراعة والمهارة وتقدم في التجارة والصناعة، كما أشار إلى أن بواسطتها تعم التشغيلات الثلاثة: الزراعية، التجارية والصناعية، والتي هي مجمع فضائل المنافع العمومية، وان دوائر الزراعة والصناعة تتسع باتساع الرخصة في الأقاليم بالمعاونات والمساعدات من أرباب الحكومات، كما أن رأس المال كان يقوم على الزراعة وأن رب العمل كان المالك والمدير لكل شيء أما في ما يخص الصناعة فكان أمرها موكل للعبيد، تحدث أيضا عن بساطة التجارة في ذلك العصر في إشارة منه إلى أن احتياجات تلك الأيام كانت سهلة بسيطة.

وأشار إلى أهمية الأسفار والسياحات في تقدم المنافع العمومية مبرزا بمثال ذلك دولة "الانكليز" التي تميل إلى الجد والكدح وبلوغ الاوطار بفضل الحركة والنقلة، كما أثنى على الصوريين وبمغامراتهم والظفر بالتجارات، وبعض المصنوعات التي سبق بها العرب غيرهم مشيراً إلى أن المخالطات تجار الغرب مع أهل الشرق جددت وازع الحركة التجارية، كما شبه دولة الصوريين بملكة البحار لكثرة سفرتها لبلوغ الأوطار.

❖ **أما فيما يخص الباب الثالث**، جاء بعنوان "**تطبيق أقسام المنافع العمومية في الأزمان الأولية على مصر المحمية وأنها كانت من التمدن والتقدم بما كانت عليه**"وقد شمل هذا الباب على تقدم مصر وغناها في عدة أزمان سابقة و أدوار متناسقة، وجيازتها للمنافع العمومية بوجه إجمالي، كذلك امتيازها بالمعارف في الزمن القدير آخذا من قصة القائل (واجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم)، و أن أعظم وسائل تقدم الوطن في

المنافع العمومية رخصة المعاملة مع أهالي الممالك الأجنبية واعتبارها في الوطن كالأهلية، وأيضا فيما ترتب على فتوح إسكندر الرومي للديار المصرية من اتساع دائرة المنافع العمومية الناتجة عن مقدمات الحزم والكياسة وشرطيات أشكال العدل.

حيث جاء في مضمون هذا الباب أن مصر كان لها التقدم في الصناعة وأنها كانت على درجة عالية من التمدن وبلغ أهلها درجة عليا من الفنون والمنافع، حيث أرجع ذلك إلى ما تميز به الملوك من خلال المطالعة والحكم والآداب والمواعظ وكل ما يرشد إلى العقل والاستقامة، كما تحدث على تطور مصر في عصر الملك رمسيس وأبساميقيطوس الأول وأماسيس، كما أشار إلى أن المخالطة من ناحية الاقتباس عن الغير تعتبر مغناطيس المنافع فهي فهي تساوي حركة العمل، كما تطرق أيضا إلى أن مراعاة عوائد الأهالي، وتمسكهم بعقائدهم والمحافظة على إرضاء خواطرهم يعد أقوى شيء في حفظ البلاد وتوسيع دائرة المنافع العمومية، كما تحدث أيضا على شخصية وانجازات وفتوحات اسكندر الرومي.

❖ **أما الباب الرابع**، جاء بعنوان "**في التشبث بعودة المنافع العمومية إلى مصر حسب الإمكان في عهد محيي مصر جنتكمان** ، فيه فصول تضمنت: في مناقب جنتكمان محمد علي الشأن، وأنه نادرة عصره ومحيي مآثر مصر، والمقابلة بينه وبين عدة من مشاهير ملوك الأعصر القريبة، كذلك في أن منافع مصر العمومية وقد تمكنت كل التمكن من الذات المحمدية العلية وتسلطنت على قلبه وأخذت بمجامع لبه، وأيضا فيما دبره المحروم محمد علي من أصول المنافع العمومية الجسيمة والوصول بها إلى الحصول على التقدمات العميقة في زمن يسير مما لو أنجزه الملوك جم غفير لعُد من العمل الكثير وحسن التدبير، كذلك في سفر جنتكمان محمد علي الجليل الشأن إلى جبال فازغلو ببلاد السودان لاستكشاف المعادن الذهبية والكشف عنها بحضوره وإعمال الطرق التجريبية.

جاء في مضمون هذا الباب عن أهم صفات محمد علي وانجازاته وصيانته للوطن بحسن تدبيره، كذلك عن دور النيل في اقتصاد مصر بإعتباره قلب مصر وقالبها، وجهود جنتكمان في إحياء عملية الري والزراعة وعنايته بعلاج مصب النيل واستكشاف منابعه وما نتج عن ذلك من درجة التقدم والرفاهية في مصر.

وقد جاء الباب الخامس، بعنوان "في آمال الحسنة والأعمال المستحسنة من الإصلاحات المصرية بمقتضى إصلاحات الحال العصرية " وتضمنت فصوله، في ذكر تقدم مصر في هذا العصر، كذلك في ملحوظات عمومية تتعلق بالديار المصرية أبداها بعض من أرخ مصر من أرباب السياحة وحرض فيها على ما يلزم من تقديم التمدن بتحسين أصول المنافع العمومية تجارة كانت أم زراعة، أو فلاحة، وهذا باعتبار ما كان لا يخفى على ذوي العرفان، وفي بيان بلوغ المنافع العمومية بالديار المصرية درجة إرتقاء جلية في عهد الحكومة الحالية مع بعض ملحوظات بهية، كذلك في إسعاد الحاكم للبلاد والعباد.

تضمن هذا الباب على طيب حال مصر التي أصبحت عليها في هذا العهد من كمال حسن الإدارة والضبط والربط، وما يفيد الأمن على الأرواح والأموال والأعراض ونمو الخير.

وتقدم غنى مصر برأس مالها المتكون بالأصالة بزراعتها، كما أن من تولى حكم مصر من الملوك والسلاطين إلا وكان يجدد فيها بقدر استطاعته من المنافع.

وأخيرا الخاتمة التي تضمنت أيضا أربعة فصول معنونة كالتالي: في ولاة الأمور، في طبقة العلماء والقضاء وأمناء الدين، في طبقة الغزاة المجاهدين، في طبق أهل الزراعة والتجارة والحرف والصنائع.

المطلب 3: أهمية الكتاب:

1- أراء حول الكتاب:

ما أكثر المؤلفات التي صدرت حديثا عن الطهطاوي، وخاصة تلك التي عالجت عصر النهضة ومن بين أكثر أهمية كتاب لويس عوض "تاريخ الفكر المصري الحديث"[1]، الذي يعتبر أهم كتاب وضعه رفاعة الطهطاوي في تحليل النظم والمذاهب هو كتابه الخطير "مناهج الألباب" الذي صدر عام 1829م، والذي أشار إلى أن خطورة مناهج الألباب ناشئة من أن هذا الكتاب يعد إستكمالا للنظريات السياسية والاجتماعية الذي كان رفاعة قد طرحها في صدر حياته أيام تخليص الإبريز.[2]

كذلك أن مناهج الألباب كتاب محير إلى درجة مقلقة لكل من درس أفكار الطهطاوي في اتجاهين متضادين: أحدهما النكوص من الليبرالية المطلقة التي تميزت بها ثورية ثوار فرنسا و أوروبا عامة نحو 1830م، ومن الإيمان العميق بالأشكال الديمقراطية الكلاسيكية ومن تقديس الشعب والإدارة الشعبية في لون من الاعتزال السياسي.[3]

أما عزت قرني في كتابه "العدالة والحرية في فجر النهضة العربية" فقد أعتبر كتاب المناهج بمثابة كتاب تأمل ودرس، ومن هنا فهو أكثر اعتدالا وهدوءا فإن صفحات في المناهج تنطق نطقا بحميا الشباب وتفيض تفاءلا، وهو من صفات الشباب كله، وكتاب "المناهج" هو كتاب برنامج اجتماعي هدفه التقدم في المدنية، وأراد به كاتبه أن يبذل ما عنده من رأس مال الصناع لمنفعة وطنه العمومية.[4]

أما في ما يخص الكاتب فقد ترجم لرفاعة ترجمة مطولة السيد صالح مجدي بك أحد تلامذته، وكان معجبا به إعجابا كثيرا، ومما كتبه عنه في هذه الترجمة قوله "الأديب الأريب العلامة البثت الثقة الحجة في كل علم وفن... "، تفرد بما جازه من المعارف حتى

---

[1] غالي شكري، **النهضة والسقوط في الفكر المصري الحديث**، ط2، دار الطليعة، لبنان، ص 157.

[2] نفسه، ص 157.

[3] عوض، مرجع سابق، ص ص 299-287.

[4] عزت قرني، **العدالة والحرية في فجر النهضة العربية**، سلسلة عالم المعارف، العدد (30)، الكويت، 1980، ص55.

استظل منها وطنه تحت ظليل ظلها الوارف، وذلك بما حازه من رسوخ قدمه في العلوم الغربية.

وقال عنه 'السكندري' زميله في متاب الوسيط "هو الكاتب الشاعر الأديب المترجم، شيخ الترجمة، وإمام النهضة".

وقال عنه الأمير "عمر طوسون" في ترجمته "هو أحد أركان النهضة العلمية والعربية إمامها في مصر".[1]

وقال عنه الأستاذ "عبد الرحمن الرافعي بك" كان يحمل بين جنبيه نفسا عالية، وروحا متوثبة، وعزيمة ماضية، وذكاء حادا وشغفا بالعلم...أستروح نسيم الثقافة الأوروبية، فزادت معارفه واتسعت مداركه، فأخذ من المدينة الغربية أحسنها، ورجع إلى وطنه كامل الثقافة وتخرج على يديه جيل من خيرة علماء مصر.

كما تحدث عنه الأستاذ "أحمد عزت عبد الكريم " فقال 'درس في الأزهر صدر شبابه، وقرأ كتبه، وعالج قضايا العلم والفقه والكلام، وفكر بعقول شيوخه...ثم رحل إلى باريس شيخا معمما فاتسعت أمامه آفاق من التفكير الجديد، ورأى نظاما في الحكم الجديد، لكنه لم ينسى عالمه الذي نشأ فيه وتربى في حجره، وهنا تظهر قيمة رفاعة بك وخطره كإمام من أئمة النهضة العلمية في مصر.'[2]

كما قال "صلاح أحمد زكي" أن رفاعة الطهطاوي يعد رائد الفكر السياسي والاجتماعي الحديث، فقد عرف قراءه بأساليب الحياة الحديثة لا في باريس وحدها ولا في فرنسا فقط بل أوروبا قاطبة.[3]

2- القيمة التاريخية للكتاب:

[1] أحمد أحمد بدوي، **رفاعة الطهطاوي بك أحد أركان النهضة العلمية العربية**، دط، البيان العربي، مصر، 1949، ص 331.

[2] بدوي، مصدر سابق، ص 332.

[3] صلاح أحمد زكي، **أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث**، ط1، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2001، ص28.

يحتل رفاعة الطهطاوي في تطور الفكر المصري الحديث مكانة لا مثيل لها، فإنتاجه غزير، وعمله ضخم، وتأثيره واسع وحاسم، وهو بعد ذلك رائد الرواد[1].

ومن بين أعماله المهمة التي نشرها الطهطاوي هو كتاب "مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية"، حيث خصصه لمعالجة مسائل التمدن والعمران وسبب تأليفه هو ألا يقف من أحداث التغيير موقف المتفرج، بل أراد أن يساهم فيها مساهمة فعالة.[2]

حيث عبر رفاعة في ها الكتاب العظيم عن خلاصة الفكر الثوري[3] حيث يعد واحدا من أوائل الأعمال الأساسية في الكتابات السياسية العربية الحديثة، وأهمية الكتاب تكمن في تقديم مفهوم الإجتهاد في شكل تفسير مسهب لعبارة "المنافع العمومية التي تتلخص في الزراعة والصناعة والتجارة وتطويرها في مصر من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر، كما تشير عبارة المنافع العمومية والإنتاج بوصفه العملية الاعتيادية التي تخلق المجتمع"[4].

وكتاب مناهج الألباب هو من أجّلِ مؤلفاته وأوفاها بياناً وأعمها نفعا، وأغزرها مادة، يشتمل على وصف مصر وبيان حضارتها وأخلاقها وعلومها وصنائعها، وأحوالها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ويتضمن مباحث قيمة في التاريخ والجغرافيا والآداب والأخلاق والمواعظ والحكم، وفيه نبذة ممتعة عن الحقوق والواجبات الوطنية.[5]

فلم يتضمن الكتاب بحوثا في الاجتماع أو الاقتصاد ألفها ليبشر بها مواطنين، وإنما قدر الرجل حجم دوره في أمانة وصدق بعد أن حدد طبيعة رسالته في بساطة ووضوح، وهي أن يعين الجمعية (أي الشعب) بقدر الاستطاعة، ويبذل ما عنده من رأس مال الصناعة لمنفعة الوطن العمومية، وذلك بتصنيف نخبة جليلة وترصيف تحف جميلة في المنافع

---

[1] قرني، مرجع سابق، ص21.

[2] رفاعة رافع الطهطاوي، **المرشد الأمين للبنات والبنين**، دط، دار الكتاب المصري واللبناني، مصر، 2012م، ص39.

[3] عوض، مرجع سابق، ص318.

[4] تيموثي ميتشل، **استعمارُ مصر**، (تر) بشير السباعي، أحمد حسان، ط2، مدارات للأبحاث والنشر، مصر، 2013م، ص190.

[5] عبد الرحمن الرافعي، **عصر محمد علي**، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1989م، ص463.

العمومية التي بها توسيع دائرة التمدنية للوطن، أقتطفها من ثمار الكتب العربية اليافعة واجتناها من الملفات الفرنسية النافعة.[1]

وبالتالي فإن كتاب "مناهج الألباب"، يشمل على أكمل شرح لأفكار الطهطاوي عن الطريق التي ينبغي لمصر أن تسير فيها، من خلال دراسته عن النشاط المصري الاقتصادي، وكان هدفه تثقيف الطلاب في المدارس الجديدة عن طريق المطالعة،[2] إضافة إلى أنه بين كيفية الاستفادة من علوم الغرب وثقافته، مع الحفاظ على ما هو إيجابي من الموروث الثقافي العربي والإسلامي، وصاغ المفاهيم الأساسية للوطن والوطنية[3]

خلاصة:

كان الطهطاوي ثمرة لبذور شجرة غرسها محمد علي باشا، والذي وجد عناية خاصة من قبل محمد علي، ورغبته الشديدة في التطور والنهوض ببلده، حيث مكنته الظروف الداخلية من تحقيق أهدافه وتطلعاته في النهضة، ومن خلال من جسدته أعماله الفكرية وتأثيراتها في بناء الدولة الحديثة، وكان هذا بمثابة صحوة في تاريخ مصر.

[1] إسماعيل محمود، رفاعة رافع الطهطاوي وفكره السياسي والاجتماعي، مجلة المؤرخ العربي، العدد (04)، ص136.
[2] ألبرت حوراني، **الفكر العربي في عصر النهضة**، (تر) كريم عزقول، دط، دار النهار للنشر، بيروت- لبنان، 1798-1939، ، ص ص95-96.
[3] رءوف عباس حامد، **تطور الفكر العربي الحديث**، موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية كلية الاداب جامعة، القاهرة، ص13.

المبحث الثاني: القضايا السياسية والثقافية من خلال كتاب مناهج الألباب المصرية.

- المطلب الأول: الوضع السياسي في مصر في فترة محمد علي.
- المطلب الثاني: الوضع الثقافي والفكري.

عقب جلاء الحملة الفرنسي من مصر، شهدت هذه الأخيرة موجة من الفوضى والإضطرابات والصراعات بين أطراف القوى السياسية المتنازعة على كرسي الحكم، وسرعان ما ظهر في هذا الصراع شخصية طموحة أمتد أثرها في مصر قرابة القرن ونصف قرن، إستطاع من خلالها تذليل العقبات والنهوض بمصر وبعث محاولات الحداثة ألا وهي شخصية " محمد علي باشا".

المطلب 1: الوضع السياسي في مصر في فترة محمد علي:

1-1 محمد علي المولد والنشأة:

محمد علي باشا[1] هو رأس الأسرة العلوية ومنشئ مصر الحديثة، ولد في مدينة " قولة" بمقدونيا سنة 1769م، وهي السنة التي ولد فيها نابليون بونابرت، والده إبراهيم أغا من رجال الضبط في قولة من أصل تركي[2]، أما اسم والدته فلم يذكرها التاريخ بحكم العادات إلا أنها كانت إمرأة حادة الشعور، حمساء الخيال، يدل على ذلك المنام الذي رأته وهي حامل بإبنها المجيد، وفسره بعض العرافين، إذ تنبأت عرافة القرية بعد مولده مباشرة بعلو شأنه وارتفاع نجمه الذي يصل إلى مرتبة الملوك والأمراء.[3]

أحاطه والده بعناية خاصة، ولولا أن الموت قصف زهرة كل أولاده وهم في صباهم الأول لما أستطاع إلى القيام بشؤون تربيتهم، ولكن لم يبقى منهم سوى محمد علي، فإنه حصر كل حنانه واهتمامه فيه، تجلت في المظهر الذي تتجلى فيه العناية عند الوالدين البسطاء، أي أنه تركه يشب وشأنه دون أن يعلمه على أن العلم لم يكن في ذلك العهد مرغوبا فيه إلا قليلا لاسيما في الشرق، حيث لم يكن من علم ما كان الدين أساسه، وأما أصطبغ منه

[1] أنظر الملحق رقم 02 : ص110.
[2] السيد فرج، **حروب محمد علي**، دط، مطبعة التوكل، د ب ن، 1999، ص11.
[3] إلياس الأيوبي، **محمد علي سيرته، أعماله وآثاره**، دط، دار الهلال، مصر، 1923، ص110..

بصيغة الدين دون أن يفكر في تهذيب ميوله، وتوجيهها نحو غرض معلوم في الحياة يكون الفتى في البلوغ إليه أمان الحاجة والفقر[1].

ولقد بقيت في آذانه عما قيل عنه: ماذا عسى أن يكون نصيب الغلام التعس من الحياة إذا فقد الدهر والديه فجأة وهو لا يملك شروى نقير ولا علم عنده ولا صنعة لديه، وقد قال محمد علي فيما بعد أني منذ سمعت ذلك القول عزمت عزما أكيدا على تغيير ما بي، وترويض نفسي على امتلاك زمام أهوائي، كما أنه رأى منام شرب من نهر النيل كله ولم يرتوي وفُسر به بأنه سيملك وادي النيل بأسره ولن يكتفي به بل سيسقى إلى أقطار غيره[2].

توفي والده وهو لم يتجاوز السابعة عشر[3]، وتركه طفلا ليس له مال ولا صناعة، فكفله عمه طوسون[4]؛ وتدريجيا تخلى عن التدليل وعهد حياة التقويم.[5]

ثم نشأ في كنف حاكم قولة وكان يدعى الشوربجي؛ كما أضله برعايته المسيو ليون قنصل فرنسا في قولة، وكان يتولى بعض الأعمال التجارية فأشرك فيها محمد علي.[6]

عُرف في طفولته بالوسامة والذكاء، والولوع بالفروسية وألعاب السيف وبلغ مدارج الرجال مبكرا، فمارس التجارة، وأكتسب الخبرة في دراسة الشعور والعواطف وأصول التعامل، وفن اقتناص الفرص[7]، كما كان صاحب فراسة سريع اليقظة.[8]

وعندما بلغ سن الثامنة عشر ما لبث الشوربجي حتى زوجه من إحدى قريباته الثريات، وبعد أن أثبت جدارته كعامل ضرائب، وأظهر كفاءة أكبر كتاجر تبغ، تقدم للتطوع

---

[1] الأيوبي، مصدر سابق، ص11.
[2] نفسه، ص ص11؛13.
[3] سهير حلمي، **أسرة محمد علي أعماله وأثاره**، دط؛ دار الهلال، مصر، 1923م، ص59.
[4] فرج، مرجع سابق، ص11.
[5] حلمي، مرجع سابق، ص59
[6] فرج، مرجع سابق، ص11.
[7] نفسه، ص12.
[8] رفاعة رافع الطهطاوي، **مناهج الألباب في مباهج الآداب العصرية**، دط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م، ص181.

كضابط في الكتيبة التي أرسلتها تركيا للانضمام إلى البريطانيين لطرد الفرنسيين خارج مصر، وعندما غادر الإنجليز والفرنسيون مصر عام 1802م، إستمر محمد علي في خدمة الباشا الذي عينته تركيا لحكم البلاد.[1]

2-1 وصوله إلى الحكم:

جاء محمد علي إلى مصر 1801م، ضمن القوة العثمانية التي شاركت في طرد الفرنسيين من مصر[2]، وفي خضم هذه الفوضى الناجمة عن الانسحاب الفرنسي أصبحت مصر مسرحا لصراع القوى المنافسة على السلطة، وهذه القوى هي: الانجليز، العثمانيون، والمماليك[3]، فعلى الرغم من أن المماليك لا يزالون قوة لها جذورها وسيطرتها [4]، إلا أن سياستهم كانت قائمة على إرهاق البلاد وستلابها[5]؛ ومع ذلك فإن الحملة الفرنسية هزت هذه الجذور من الأساس وأسقطت هيبتهم شعبيا كطبقة مسيطرة، أما الانجليز فعلى الرغم من أنهم الأقوى عسكريا فقد كانوا مرفوضون قطعيا واضطروا إلى الانسحاب في العام التالي لخروج الفرنسيين سنة 1803م، إلا أنهم كانوا يراقبون الموقف بدقة.[6]

وفي هذا الجو المضطرب كان مسرح الأحداث مهيأ لخروج أي ممثل بارع قادر على انتهاز الفرصة السانحة بشرط أن يكون على إدراك واع بحقيقتين هامتين:

الأولى: مراعاة المشاعر الدينية لدى السكان، وأن يكون مخلصا.

---

[1] ريمون فلاور، **مصر من قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر**، (تر) : سيد أحمد عبد الناصري،دط، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000، ص91.

[2] إسماعيل سراج الدين، **تحديث مصر في عصر محمد علي**، دط، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، 2007م، ص27.

[3] المماليك:هم طائفة من العبيد اشتراهم حكام الدول الاسلامية لاستخدامهم في القتال في صفوف الجيش؛ ثم تعاضم نفوذهم بعد ذلك وتمكنومن فرض سيطرتهم على الحكم. للمزيد ينظر : منير غبور واحمد عثمان؛ **محمد علي باشا عودة الذاكرة المصرية**؛ ط1؛ مكتبة مديولي؛ القاهرة؛ 2012؛ ص11.

[4] سليمان الغنام، **سياسية محمد علي باشا التوسيعية**، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2004م، ص27.

[5] هنري دودويل، **الاتجاه السياسي في مصر في عهد محمد علي**، (تر) : أحمد محمد عبد الخالق، علي أحمد شكري، دط، مؤسسة هنداوي سي أي سي، المملكة المتحدة،2017م، ص186.

[6] الغنام؛ مرجع سابق، ص27.

والثانية: أن يدرك الأهداف السياسة البريطانية ويتصرف بما لا يتعارض معها، وفي هذه المرة لا بد أن يكون مخلصا وان يتظاهر بعكس ذلك وكان هذا الفارس هو محمد علي باشا[1].

خدمت الظروف محمد علي إلى حد كبير[2]؛ فأخذ يراقب مجرى الحوادث ويضع خططه ويستعد لمواجهة منافسيه، والقضاء على العقبات التي تعترض طريقه إلى الحكم، وكان لابد له أن ينتصر على هؤلاء لكي يستقل بمصر، ويدفع بها إلى حياة جديدة حافلة[3].

كان محمد علي يرى أن هناك شخصيات فاعلة على المسرح السياسي يجب التخلص منها قبل الصعود إلى كرسي الحكم، حيث كانت طريقته في التخلص من هؤلاء الخصوم المنافين فريدة من نوعها، وذلك من خلال تلغيم كرسي الحكم بالمؤامرات الراقية، إذ كان يساعد منافسيه في الوصول إلى القمة ثم يقوم بحياكة المؤامرة تلو الأخرى، فيسهل تصفيتهم بالعزل أو الطرد أو القتل[4].

ففي فبراير سنة1802م تولى "**خسرو باشا**"[5] زمام الأمور في ولاية مصر، وكان محمد علي باشا في معيته يشترك في وضع الخطط، وكان الجهاد ضد الفرنسيين قد إنتهى، وجاء دور المماليك التي تؤيد انجلترا وسعيهم إلى النفوذ والسلطان، ولم يكن خسرو الحاكم القدير أو الخصم القوي الذي يستطيع أن يقضي على عناصر الفتنة والتمرد، فاضطربت شؤون الحكم في يده، وحدثت الانكسارات العسكرية أمام المماليك[6]، غير أن المشايخ والعلماء لم يرضوا عن ولاية خسرو باشا فقاموا بالثورة عليه وأسقطوه.[7]، واختير بعد ذلك

---

[1] الغنام، مرجع سابق، ص27.
[2] نفسه، ص، 28.
[3] فرج، مرجع سابق، ص ص 13-14.
[4] نشأت الديهي، **محمد علي باشا بدايات قاسية ومجد عظيم**، دط، دار الجمهورية للصحافة، مصر، 2009، ص32.
[5] خسرو باشا : كان وزيرا في عهد السلطان سليم الثالث ومحمود الثاني وعبد المجيد، ثم نال منصب كتخدا وقد عمل خوشيد باشا لإجلاء الفرنسيين عن مصر، وأصبح محافظا لمدينة الإسكندرية، وفيها رقي إلى رتبة والي مصر ولكن المماليك في مصر أعلنوا الثورة والعصيان، كما أن جنود محمد علي واجهوه فاضطر إلى التقهقر عن مصر. للمزيد ينظر : مجيب المصري، مرجع سابق، ص53.
[6] فرج، مرجع سابق، ص14.
[7] حلمي، مرجع سابق، ص61.

"**طاهر باشا**"[1]، ليكون واليا مؤقتا غير أن هذا الأخير كان مولعا بالقتل ومشهورا بالظلم والجبروت وضيق الأفق، وبعد أسابيع ثلاث من توليه الحكم قتل على يد إثنين من الانكشارية[2].

وبمقتل الطاهر باشا قامت الانكشارية واتفقوا فيما بينهم على تعيين "**أحمد باشا**" واليا على غير رغبة محمد علي فاضطر محمد علي للتحالف مع المماليك[3]، حيث دعا من زعماء المماليك "**عثمان بك البرديسي**"[4]، وإبراهيم بك فدخلا وحضر المماليك القاهرة بعد الاتفاق مع محمد علي وتسلموا بلك مقاليد الأعمال وطردوا الانكشارية وأحمد باشا[5].

عاد "**الألفي**"[6] سنة 1804م على سفينة حربية بريطانية وكان الانجليز يأملون في نجاحه في السيطرة على شؤون الحكم[7]، وخشي البرديسي ومحمد علي عاقبة اتفاقه مع الحكومة الانجليزية، البرديسي عمل على تشتيت قوى الألفي الذي لم يسعه سوى الاختفاء.[8]

بعد ذلك قام الألبانيين مطالبين برواتهم، فأحالهم محمد علي على المماليك اذ كان تاركا كل شيء في أيديهم ظاهرا، ففرض البرديسي ضرائب جديدة فذعر الناس وقاموا صاخبين وسخط العلماء والمشايخ على تصرفات المماليك وثار الجنود عليهم، فخشي محمد علي من أن يكيدوا ليه المماليك كما يكيد لهم فأرسل سنة 1804 جنودا لحصار البرديسي في

---

[1] طاهر باشا : قائد القوات الألبانية في مصر، انخرط في صراع على النفوذ ضد خسرو باشا الحاكم العثماني لمصر، وقد خلف طاهر باشا ضسرو باشا سنة1803م، وبدأ بالتعاون مع أمراء المماليك بالصعيد، ولم يتفق معه أحمد باشا حاكم الإسكندرية، وقد إنتهى الأمر بمصرعه على يد الإنكشارية أتباع أحمد باشا لعدم إعطائهم رواتبهم المتأخرة. للمزيد ينظر : خليل بن أحمد الرجبي، **تاريخ الوزير محمد علي باشا**، (تح) : دانيال كريسيليوس وآخرون، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، 1417هـ-1997م، ص98.

[2] عفاف لطفي، مصر في عهد محمد علي، (تر) : عبد السميع عمر زين الدين، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004، ص7.

[3] الديهي، مرجع سابق، ص34.

[4] عثمان بك البرديسي : من مماليك مراد بيك سمي بالبرديسي لتوليه كشوفية برديس بالصعيد، وهو زعيم جماعة المماليك الفرنسية الموالية لفرنسا، تحالف مع محمد علي بعد مقتل طاهر باشا ودخل القاهرة مع إبراهيم بيك الكبير، وحارب خسرو باشا وأسرته ولم يتحد مع محمد بيك الألفي، بل حاول قتله، ووعده الإنجليز بإرسال نجدة لتخليصه فتفرقت جماعة المماليك. للمزيد ينظر : الرجبي، مرجع سابق، ص78.

[5] محمد رفعت ، تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة، ج7، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1993، ص78.

[6] محمد بك الألفي : أحد زعماء المماليك، كان الإنجليز يأملون أن يساعدهم على بسط نفوذهم على السواحل المصرية. ينظر:الرجبي، مرجع سابق،ص223.

[7] عبد الغفار محمد حسين، **بناء الدولة الحديثة في مصر**، ج1، دار المعارف، القاهرة، د س ن، ص113.

[8] رفعت، مرجع سابق، ص78.

منزله وآخرين لحصار إبراهيم بك، ففر المماليك ورحلوا مع زعمائهم من القاهرة وبذلك تخلص محمد علي من مشاركة المماليك له[1] واستشعر محمد علي اقتراب أحلامه، وكان رائدا في تحالفه مع الشيوخ والعلماء المصريين الذين تولوا القيادة الشعبية لإنهاء الفوضى وتوفير الأمن[2].

وقد شاءت الظروف أن يعود خسرو باشا إلى وظيفته، لكن لم تمضي ثلاثة أيام حتى أُرغم على مغادرة القاهرة والإبحار إلى الأستانة[3]، ففكر الألبانيون في عرض المركز الشاغر على محمد علي[4]، لكن دهاء وحسن سياسة محمد علي مكنته من التظاهر بعدم الجري وراء مصلحته الخاصة فنصح العلماء والمشايخ بتنصيب "خورشيد باشا"[5] محافظ الإسكندرية واليا.[6]

كانت صعوبات "**خورشيد**" هي بالضبط صعوبات سابقيه فلم تخلو ولايته من المشاكل من عبث الجنود، وتمردهم واعتدائهم على الأرواح والأموال، وقد أحس خورشيد بارتفاع شأن محمد علي واتجاه الأنظار إليه فنال له من الباب العالي ولاية جدة[7]، فعلى الرغم من أن محمد علي باشا أعلن الولاء لخورشيد باشا إلا أنه كان يقوم بتحريض المشايخ ضد الوالي، غير أن الأخير كشف ألاعيب محمد علي[8] وأدرك أنه المنافس الحقيقي له ويجب التخلص منه فأرسله إلى الصعيد، وأخذ يدبر المكائد، وأرسل إلى الأستانة يطلب جيشا

---

[1] رفعت، مرجع سابق ، ص78.

[2] حلمي، مرجع سابق، ص62.

[3] الأستانة : الإسم القديم لإسطنبول ويعني عتبة الباب والمركز والتكية الكبيرة. ينظر : صبان، مرجع سابق، ص15.

[4] صلاح أحمد هريدي، **دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر**، ج2، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الإسكندرية، 2000، ص15.

[5] خورشيد باشا: هو خورشيد أحمد باشا، كان باشا الإسكندرية في الفترة 1803م، قبل أن يعين حاكما على مصر كلها سنة 1804م، ولذلك فإن مدته تتداخل مع مدة محمد ضسرو باشا، وقد تنبأ الانجليز بفشله في حكم البلاد منذ البداية لقلة كفاءته وعدم سيطرته على الجند وحتمية تصادمه مع محمد علي، بالإضافة إلى مشاكل مرتبات الجنود الأرنؤود، وهذا ما حدث بالفعل ما جعل خورشيد يستدعي قوات من الدلاة الفرسان لمساندته في القتال ضد المماليك، غير أن الدلاة إتفقوا مع محمد علي ودخلوا معه إلى القاهرة، وكانوا نقمة على خورشيد باشا، فسعى محمد علي لدى الدولة العثمانية للحصول على فرمان توليه مصر، وقد عزل العلماء خورشيد وعرضوا حكم مصر على محمد علي باشا. أنظر : الرجبي، مرجع سابق، ص79.

[6] محمد صبري، **تاريخ مصر الحديث مصر من محمد علي باشا إلى اليوم**، ط2، مطبعة مصر، د ب ن، 2000م، ص32.

[7] محمد شفيق غربال، **محمد علي الكبير**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014، ص27.

[8] أحمد عوف، **أحوال مصر من عصر إلى عصر**، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، د س ن، ص119.

لمساعدته على تحقيق غرضه، إلا أنه جلب بذلك سخط الشعب المصري وزعمائه وعجل بعودة محمد علي من الصعيد ليدخل القاهرة[1]، كما أن الكوارث المتتالية جعلت أهل القرية يلتفون حول شيوخهم وأعيانهم وبخاصة نقيب الأشراف "**عمر مكرم**"[2]، وانضموا إلى طوائف من الجند وطالبوا بوضع حد لسوء الحال، ثم انتهى الرؤساء إلى مطالبة الباشا باعتزال منصبه، ولما رفض ذلك حاصروه في القلعة وترامى الفريقان بالقنابل، وقد اعتبر السيد مكرم وأصحابه الباشا معزولا بإرادة قادة الرأي.[3]

وفي يوم الإثنين توجهت الجموع وذهبوا إلى محمد علي مطالبين بأن يكون واليا عليهم بشروطهم لما توسموا فيه من العدالة والخير، فأمتنع أولا ثم رضي بذلك[4]، فقلده السيد عمر مكارم والشيخ الشرقاوي ضلعة الولاية[5]، كما وصل فرمان من السلطان بتوليه محمد علي حكم مصر إزاء إصرار العلماء والرعية، وعُزل خورشيد باشا ورحل عن البلاد، وتولى محمد علي حكم مصر سنة 1805م، بعد أن عاهد الشعب المصري وعلمائه على أن لا يفرض الضرائب، ولا يتصرف بشيء إلا بمشورتهم بعد أن أصبح الزعماء مستشاريه في حكم البلاد[6]، وبسبب المكانة التي كانت تتمتع بها شريحة العلماء خاصة نقيب الأشراف مكرم الذي كان له الدور البارز في مؤازرة العلماء لمحمد علي[7]، وبذلك دشنت مصر أساس حريتها واستقلالها وأعلنت عن حقها في تقرير مصيرها[8]، وبدأت بذلك فترة هامة من تاريخها الحديث.[9]

---

[1] محمد محمد حسين، **الإسلام والحضارة الغربية**، ط1، دار الفرقان، د ب ن ، 1975م، ص117-118.

[2] عمر مكرم : هو نقيب الأشراف وصاحب التأثير الشعبي ولد في أسيوط في جنوب مصر سنة 1164هـ-1750م، وانتقل إلى التعليم في الأزهر في القاهرة، وهو من أهم الرواد الذين دارت بهم ومن حولهم فكرة البطل الذي تبلور حولهم المقاومة والجهاد في الرصيد السياسي المصري. ينظر:عليان الجالودي، **التحولات الفكرية في العالم الإسلامي**، ط1، دار المكتبة الوطنية، الأردن، 1435هـ/2014م، ص ص 512-513.

[3] غربال، مرجع سابق، ص27.

[4] نفسه، ص27.

[5] هريدي، مرجع سابق، ص15.

[6] حسين، مرجع سابق، ص120.

[7] غربي، مرجع سابق، ص179.

[8] الديهي، مرجع سابق، ص35.

[9] محمد حسين، مرجع سابق، ص120.

3-1 سياسة محمد علي في مصر:

يبدو أن مشروع الدولة الحديثة في مصر قد تبلور في ذهن محمد علي وهو مشروع يقوم على استقلال محمد علي بحكم مصر وتثبيته في أسرته[1]، فلم يكن هناك كيان لمصر كدولة مستقلة حيث كانت تعتبر جزء من ممتلكات آل عثمان، وكان محمد علي يحكم البلاد مشاركة مع البكوات المماليك الذين كانت لهم السيطرة السياسية والاقتصادية على الأقاليم، وفي هذه الأثناء كان محمد علي يدير شؤون البلاد لصالح السلطان العثماني، إذ أن محمد علي في تلك الفترة كان يقترب من الزعماء المصريين ويعتمد على مشورتهم حرصا منه على تدعيم مركزه في مصر ورغبة منه في اتخاذ ممثلي الأهالي كمركز قوة يستخدمه في مواجهة السلطان الذي لم يقبل بتنصيب الولاية إلا تحت ضغط هؤلاء الزعماء[2].

أدرك محمد علي بحس صادق أن شمس الحكم العثماني توشك أن تغيب وأن مصر على شفى مرحلة جديدة من تاريخها، لن تكون فيها السلطان العثماني من الحكم إلا الاسم، فقاد بدقة الأمور بدهاء سياسي حتى إنتهى به الأمر بجلوسه على دست الحكم، ومن هنا بدأ محمد علي في تدعيم مركزه الشخصي وتثبيت الولاية في شخصه[3].

وبعد مرور ست سنوات على ولايته تمكن من التخلص من طبقة المماليك بأكملها سنة 1811م، وصار الباشا هو الحاكم الأوحد لكل الأرض المصرية، وكانت الخطوة الثانية لمحمد علي باشا هو تخلصه من سيطرة الأستانة وانتزاع مصر خارج كيان الدولة العثمانية لتصبح كيانا سياسيا مستقلا وأصبح محمد علي هو الحاكم الأوحد لمصر.[4]

[1] سراج الدين، مرجع سابق، ص27.
[2] غبور، مرجع سابق، ص135.
[3] الرجبي، مرجع سابق، ص8.
[4] غبور، مرجع سابق، ص135.

أدرك محمد علي أنه لابد لمصر من انتهاج مناهج جديدة[1]، لذلك اتبع نظام حكم مطلق[2] تسود فيه قاعدة حكم الفرد[3]، لكن الفرق بينها وما كانت عليه مصر في عصر المماليك، أن محمد علي وضع نظاما لإدارتها فحل هذا النظام محل الفوضى والارتباك، وكانت لديه فكرة النظام والإصلاح كما انه كان يميل إلى مشاورة مستشاريه في الأمور قبل إبرامها.[4]

عمل منذ توليه الحكم على أن يوطد أركانه وأن يزيل على كاهل تلك الأمة ما ران عليها من غبار الجهل والتخلف، تقوده في ذلك طموحات كبيرة وآمال عراض[5] فكان من أعظم الأعوان والأنصار لمصر في رفع التكاليف الشاقة ودفع متاعب الأصار، فقصد إعادة فضيلة مصر على سائر الأمصار مما لم يسبق لها في سابق الإعصار، وقد وجد في أرصاد هذه المرتبات شذوذا في أساليب التراتيب، فرد ترتيبها إلى نظام جيد عجيب[6]، وكان محمد علي، على طراز فريد من الحكام الذين تنطوي قلوبهم على نزعة تقدمية عميقة ورغبة لحوح في جعل مصر دولة عصرية تضارع الدول الأوربية في قوتها ونهضتها ومكانتها[7]، ولتحقيق ذلك كان عليه أن يبعث القوى الكامنة فيها و أن يحي أرضها وينظم إقتصادها ويحسن من إستغلال مواردها، ويعلم أبنائها، ويشكل قوة عسكرية تكون ردعا لها ضد كل اعتداء.

وقد اعتمدت جهود محمد علي لبناء قوة مصر الذاتية (العسكرية والاقتصادية) على المحاور التالية:

1- بناء جيش حديث قوي على النظام الأوربي (لحماية مسعى الاستقلال ودعمه).

---

[1] غربال، مرجع سابق، ص28.

[2] حكم مطلق : شكل من أشكال الحكومة تتركز فيه السلطة المطلقة في يد واحد يشغل منصب القمة في تسلسل القوة. للمزيد ينظر : أنور محمود زناتي، **قاموس المصطلحات التاريخية**، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2007، ص46.

[3] حكم الفرد : أي الإستقلال الذاتي، وهو حق الدولة في حكم نفسها وممارسة الصلاحيات الإدارية، دون تدخل سلطة أجنبية. ينظر: زناتي، نفس المرجع ، ص46.

[4] الرافعي، مصدر سابق، ص515.

[5] الرجبي، مرجع سابق، ص8.

[6] الطهطاوي، مصدر سابق، ص46.

[7] جمال بدوي، **محمد علي وأولاده**، دط، مكتبة الأسرة، 1999، ص90.

2- إعادة هيكلة الاقتصاد المصري وبناءه(لتوفير الموارد اللازمة لبناء قوة عسكرية).

3- تحديث التعليم (لتوفير الخبراء الفنيين للمؤسسة العسكرية ولأجهزة الدولة الإدارية).

4- تطوير نظم الإدارة والتشريعات والخدمات واصلاحها (لتعزيز احكام قبضته على الدولة والحكم).[1]

شكلت تجربة محمد علي باشا في بناء الدولة الحديثة ومؤسساتها الإدارية والعسكرية والعلمية والاقتصادية، نقطة تحول هامة من خلال تجديد النظام في مجمله طبقا لأساليب مبتكرة تمثلت في:[2]

أ- الديوان العالي: أنشأ عام 1824م، وهو يشبه مجلس الوزراء في الوقت الحالي، تحت رئاسة وكيل الباشا الذي يحمل لقب (كتخدا[3])، وهو لاظ أوغلي في عهده، وهو يمثل السلطة التنفيذية في مصر[4]، وكان يشمل على عدة دواوين (الجهادية، البحرية، التجارية، الخارجية، المدارس والمباني والأشغال)، وبإنشاء ديوان الخارجية نجد سياسة محمد علي كانت تخطو لأول مرة في الحكم العثماني لتتجه إلى الاتصال بالعالي الخارجي[5].

ب-ديوان الخديوي: مقره القلعة وكان يرأسه الوالي، وينوب عنه في غيابه، وكان عمله الفصل في الأمور التي ليس لها خاصة بالقاضي الشرعي أو التي لا يحتاج الأمر فيها إلى عرضها على القاضي، أو على أي مجلس آخر وذلك لظهورها وجلائها، وكان هذا الديوان يفصل في القضايا التي يعرضها ضابط القاهرة بعد تحقيقها[6].

ج- مجلس الشورى: نشأ عام 1829م، وكان يتألف من ممثلي السلطة التنفيذية، وبعض نواب الأمة والأعيان والعلماء، وينعقد مرة واحدة سنويا، حيث تعرض المشاريع التي يقوم

---

[1] سراج الدين، مرجع سابق، ص29-30.

[2] نفسه، ص ص 10-12.

[3] كتخدا : هو رب البيت ويطلقها الترك على الموظف المسؤول والوكيل المعتمد والأمين والعريف والنقيب والرئيس، كما كان لولاة الدولة العثمانية وكلاء يعرفون باسم كتخدا، والذين كانوا بمثابة همزة الوصل بين السلطان وكبار موظفيه، وكانت ترسل الفرمنات السلطانية إلى الولاة في الأقاليم عن طريقهم. للمزيد ينظر : مصطفى بركات، مرجع سابق، ص144.

[4] حلمي، مرجع سابق، ص78.

[5] عوف، مرجع سابق، ص113.

[6] عمر الإسكندر وسليم حسين، **تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر**، ط2، مكتبة مديولي، القاهرة، 1416هـ- 1996م، ص143.

بدراستها وترفع توصياتها إلى الديوان العالي، وفي عام 1837م، وضع محمد علي باشا اللائحة الإدارية الشهيرة المعروفة باسم "السياستنامه" أي كتاب السياسة وهي تعد هيكلا إداريا لاختصاصات الحكومة التي تم تقسيمها إلى سبعة دواوين أونضارات[1].

وكون كذلك "مجالس خاصة" لكل إدارة في الحكومة، فكان هناك مجالس للحربية والبحرية والزراعية والتجارة والمدارس والصحة يجتمع فيه كل رؤساء الإدارات المختلفة والمختصون في شؤون الدولة، ولقد عرف محمد علي من أول الأمر أن خير طريقة لتحسين الإدارة هي توزيع الأعمال على وزارات مختلفة، فأختار لكل وزارة رجلا كفئا يعينه المجلس الخاص، ويرجع الفضل لمحمد علي في توسيع أعمال الحكومة والعمل على التقدم والارتقاء في الإدارة وظلت كلمته هي القانون والحكومة.[2]

أ- الجيش:

كان للجيش المصري أثر كبير في تكوين مصر الحديثة وقد كان الفكرة الرئيسية التي تفرغت عنها إصلاحات محمد علي، وذلك أنه لم يسر سيرة الوالي العثماني الذي كان يعتمد على حرس أجنبي من الألبانيين والأكراد للاحتفاظ بسلطة وهمية.[3]

فعندما وصل إلى مصر كانت الدولة العثمانية تعتمد على جيش الأرناؤود[4] إلى جانب المقاتلين المماليك الذين كانوا يتحكمون في أمور البلاد، ويتعاونون مع الباب العالي في المحافظة على الأمن، وكانوا يشكلون مجموعات غير نظامية وعناصر مرتزقة[5] اعتادت على الفوضى والتمرد مما أدى إلى عدم الاستقرار[6].

---

[1] حلمي، مرجع سابق، ص79.

[2] رفعت، مرجع سابق، ص119.

[3] صبري، مرجع سابق، ص44.

[4] الأرناؤود : هو اسم يطلق على الألبان، وأصل لفضة أرنؤوط يرجع الى بلاد " أربري " التي تمتد من على الشاطئ "كورفو" الى "ألونية الذي يعرف اهلها باسم "أربونة"، وقد حرّفه الترك الى أرنؤود، وأرنؤود كما تكتب أيضا أرناؤوط وهي اسم لعدة عائلات في بلاد الشام . للمزيد ينظر : حسان حلاق وعباس، **صباغ المعجم الجامع في المصطلحات الايوبية والمملوكية والعثمانية**، ط1، دار العلم للملايين، لبنان، 1999، ص17.

[5] مرتزقة : مصطلح يطلق على من يتقاضى راتبا شهريا أو سنويا من الحكومة، وهي العساكر التي حاربت بها الدولة العثمانية أعدائها قبل تأسيس الإنكشارية. للمزيد ينظر: عامر، مرج سابق، ص378.

[6] غبور، مرجع سابق، ص95.

أدرك محمد علي بمجرد ما تسلم زمام حكم مصر أنه لابد من إدخال النظام الحديث في القوة العسكرية لكل حكومة تريد أن تكون مقاليد البلاد في يدها[1]، لذلك سار سيرة حاكم وطني يعمل بكل وسيلة لصالح الولاية التي نصب عليها، وكان لابد له من جيش أهلي منظم يعينه على تحقيق أغراضه[2]، فأدرك بفكر ثاقب أن نهضة الأمة المصرية لن تكون إلا بسواعد أبنائها، وأن جيش مصر يجب أن يكون مصريا لحمة وسدادة، فعمد إلى تكوين جيش جديد يقوم على تجنيد المصريين، ويتبع أحدث الأساليب الأوربية، ويزود بأحدث الأسلحة، وهو ما عرف باسم "النظام الجديد"[3].

ولعل الذي لفت نظره لما في النظام العسكري الحديث من تفوق: ما شاهده من انكسار الجيوش العثمانية في واقعة "أبي قير" أمام الجيش الفرنسي بقيادة بونابرت لذلك لم يلبث أن طلب معلما عسكريا لجيشه ينشئه على النظم الحديثة، فانتخبت له الكولونيل "سيف"، الذي أسلم و عُرف فيما بعد بإسم "سليمان باشا[4]"، وقد وجد محمد علي في شخصية الكولونيل سيف ما يؤهله لأن يكون الصانع الرئيسي لاصلاح الجيش[5]، وكان وصوله إلى مصر سنة 1819، وفي السنة التالية وجهه محمد علي مع خمسمائة من المماليك إلى "أسوان" ليدربهم هناك على الطريقة الحديثة في استعمال الأسلحة والنظام العسكري[6]، إذ رأى محمد علي أن "أسوان"هي أنسب مكان لتنفيذ مشروعه الكبير بعيدا عن أعين الأتراك

---

[1] محمد عبد الجواد الأصمعي، **قلعة محمد علي لا قلعة نابليون**، د-ط، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1342هـ- 1924م، ص20.

[2] صبري، مرجع سابق، ص44.

[3] الرجبي، مرجع سابق، ص10.

[4] سليمان باشا الفرنساوي : ولد في 17 ماي سنة 1877م، على سفينة والده أحد رجال الملاحة وأصحاب السفن في نهر الجازون ومن أهل مدينة ليون، انظم في سلك المدفعية والتحق بالخدمة بالجيش الفرنسي الذي كان في ايطاليا وارتقى باجتهاده من جندي بسيط إلى رتبة ملازم ثاني سنة 1813م، وقع أسيرا في يد النمساويين، ولما خرج من الأسر انظم إلى جيش نابليون واشترك في الحروب ضد روسيا فرقي بعد ذلك إلى رتبة كولونيل، سمع بمشروعات محمد علي فسعى للالتحاق بخدمته، وجاء إلى مصر ومعه كتاب توصية من الكونت دي سوجورا، فدخل في خدمته سنة 1819م، وتوفي سنة 1860م. ينظر : عمر طوسون، **الجيش المصري البري والبحري**، ط2، مكتبة مديولي، القاهرة،1416-1779م، ص ص10-11.

[5] كارولين جوتييه كورخان، **العلاقات المصرية في عهد محمد علي 1805-1849**، (تر): نانيس حسن عبد الوهاب ط1 المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015، ص112.

[6] الأصمعي، مرجع سابق، ص80.

والأناؤود الذين يقفون له بالمرصاد، فأمر ببناء الثكنات والمدارس التي تصلح للتدريب[1]، فأضطر عظماء مصر أن يحذو حذو الوالي ويرسلوا بمماليكهم إليه ليدربهم فأصبح عدد الموفودين للتدريب على يده في أسوان ألفا[2].

لم يتحمس رجال الدين لإصلاحات محمد علي بل رفضوها وتهكموا عليها وسخروا منها واتهموا النظام الجديد، ولقبوا محمد علي "باشا النصارى" لاستخدامه معلمين أوربيين مسحيين في تشكيلات الجيش المصري.

ورغم الصعوبات والعراقيل نجح محمد علي سريعا في تكوين جيش مصري حديث قوامه الفلاح المصري، إذ يذكر كلوت بيك الذي عاصر نشأة النظام الجديد أنه ربما كان المصريون من أصل أهل الأرض لأن يكونوا أفضل الجنود وأنسبهم[3].

وفي خلال ثلاث سنوات ظهرت إلى الوجود أول كتيبة من الضباط الذين تدربوا على فنون القتال الحديث على يد الخبير سليمان باشا الفرنساوي[4].

وفي يناير 1823م تم تكوين ألايات، وأصبح المماليك الذين تدربوا في أسوان على النظام ضباطا لهذه الألايات الستة الأولى ومرت سنة 1823م، كلها وجزء من سنة 1824م في تعليم تلك الألايات[5]، كما قام محمد علي بالسماح للمصريين بممارسة المهن العسكرية وتحمل عبئ الدفاع عن وطنهم وكانت هذه الخطوة جريئة لما لها من ترسيخ الحس القومي[6].

ب- الأسطول:

لا يكتمل عمل الجيوش الحديثة بدون أسطول قوي يستطيع ليس فقط حماية الشواطئ والموانئ في البلاد، بل التحرك عند اللزوم ونقل الجنود والعتاد إلى جبهات القتال

[1] بدوي، مرجع سابق، ص92.
[2] الأصمعي، مرجع سابق، ص80.
[3] الرجبي، مرجع سابق، ص10.
[4] بدوي، مرجع سابق، ص93.
[5] طوسون، مرجع سابق ، ص6.
[6] بدوي، مرجع سابق، ص93.

الخارجية، لذلك كانت بداية اهتمام محمد علي بالبحرية مع بداية الحرب الوهابية في 1810م، عندما ظهرت الحاجة إلى نقل بعض الجنود والعتاد من مصر عبر البحر الأحمر إلىشواطئ الحجاز في الجزيرة العربية[1]، ولقد بدأت محمد علي بثماني عشر قطعة بحرية كاملة العدة والتجهيز تم تصيغها في ترسانة[2] بولاق، ثم نقلت مفككة على ظهور الإبل إلى خارج السويس، حيث تم تركيبها وإنزالها الميناء[3].

وأسس عام 1829م، دار صناعة بحرية بالإسكندرية، وبنا فيها مصانع خاصة لفتل الحبال وصناعة الحديد وعمل الصواريخ والقلوع، وانشأ فيها أيضا مدرسة بحرية سنة 1831م، لتمرين عدد من الشبان المصريين على المعارف اللازمة لضباط البحرية تحت إشراف المهندس البحري "دي سريزي" ، أما إدارة المدرسة فكانت في يد "المسيو بيسون"[4].

وشيد بالسويس مباني لصناعة السفن أنشأ بها أربعة سفن جسيمة من نوع "الأبريق"(وهي سفن بساريتين وقلوع مربعة)، وأنشأ إحدى عشر سفينة أخرى من نوع "السكونة"(وهي سفينة بسارية واحدة لها قلوع مربعة ونصف سارية ذات قلوع مخروطية)[5]، وأمكن إنزال سفينة ذات مائة مدفع إلى البحر سنة 1831م.[6]

وقد بلغ عدد المراكب الحربية عام 1832م، إلى ثلاثين قطعة تحمل 1300 مدفعا وفيها من العساكر البحرية ما لا يقل عن 12000 جندي،وأرسل جملة من التلاميذ لتلقي الفنون

[1] غبور، مرجع سابق، ص99.
[2] ترسانة : مأخوذة في الأصل من دار الصناعة، وهي المكان المخصص لإنشاء وتعمير جميع السفن والمراكب الخاصة بأعمال الدولة سواء أكانت حربية أو خاصة، بالإضافة إلى أنها المكان الذي يتلقى فيه عساكر البحرية تعليمهم وتدريبهم . للمزيد ينظر : سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص78.
[3] سراج الدين، مرجع سابق، ص39.
[4] لاسكندر، مرجع سابق، ص 164.
[5] طوسون، مصدر سابق، ص63.
[6] صبري، مرجع سابق، ص47.

الحربية العملية على سطح المراكب الانجليزية، كما أنشأ الحصون اللازمة لحفظ السواحل ونصب بها المدافع اللازمة والعساكر الكافية، فتضاعفت بذلك قوة مصر وعظم شأنها[1].

وخلال عام 1843م، بلغ عدد سفن الأسطول المصري 37 قطعة بحرية مسلحة مجهزة ب 1807 مدفع وتحمل 1801 جنديا ضابطا بحريا.[2]

وأنشأ حوضا لترميم السفن سنة 1844م، وقد ساعدت كل هذه الإنشاءات البحرية على نمو الحركة التجارية في الإسكندرية خاصة، والبلاد المصرية بشكل عام.[3]

المطلب 2: الوضع الثقافي والفكري:

عندما وصل محمد علي إلى مصر في أوائل القرن التاسع عشر كانت لا تزال إقليميا ضمن الدولة العثمانية التي أهملت حركة التعليم ولم تهتم بفتح المدارس والمعاهد، ولم يكن في مصر أكثر من مائتي شخص يعرفون القراءة والكتابة[4]، حيث كان التعليم محصورا في الكتاتيب التي تعلم الصبي مبادئ الدين والقراءة والكتابة والحساب، ولم يكن الأزهر يقدم لطلابه سوى علوم الدين واللغة في شكل حواشي وتعليقات على كتب الأسلاف وتوقفت فيه حركة التأليف والإبداع، وكان الأزهر شعاع النور في هذا الظلام الحالك.[5]

أدرك محمد علي على رغم أميته بأن الملك لا يشيد إلا على أساس متين من العلم، وان العلم الذي تدعم به المماليك ليس الذي يسمونه علما في الشرق، وإنما هو الذي قامت به المدينة الغربية وشيدت عليه صرح علياها وقوتها[6]، وأن تقدم مصر وتحضرها لا يمكن أن

---

[1] الاسكندر، مرجع سابق، ص 164.
[2] سراج الدين، مرجع سابق، ص39.
[3] غبور، مرجع سابق، ص100.
[4] نفسه، ص121.
[5] بدوي، مرجع سابق، ص34.
[6] عمر طوسون، **البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول وسعيد**، دط، مطبعة صلاح الدين، الإسكندرية، 1353هـ- 1934م، ص6.

يتم بانغلاق مصر على ذاتها أو بانكفائها على تراثها القديم، بل من خلال تنشيط الانفتاح على الغرب.[1]

بلغ اهتمام محمد علي بالتعليم والبحث العلمي مبلغا عظيما، وكانت طموحاته في بناء إمبراطورية مصرية بمثابة البوصلة التي يهتدي بها الرجل في جميع توجهاته ومساراته، وأيقن الرجل أن البداية لابد أن تكون من التعليم، فالطموحات العملاقة لن يقوى على حملها إلا العملاقة المتعلمون، لقد كان الجهل والتخلف والمرض ثالوث خطيرا يقضي على روح الأمة ويحطم أمالها وأحلامها، ولقد انتفض محمد علي انتفاضة مدوية، وثار ثورة عارمة على الكسل والجهل والتخلف[2]، فلم تكل همته ولا تفتُرُ عزيمته ولا يرتاح بدنه وعقله بل دائما مشغول بما يخص التمدن والتفكير في التجديدات دون الاهتمام بالمصاريف والتكاليف للحرص على تقديم وطنه المنيف.[3]

كانت رؤيا الرجل الإصلاحية تسبق عصره، وتجعله متفردا في تفكيره، لقد كان التعليم بمثابة حجر الزاوية وضربة البداية في بناء مصر الجديدة.[4]

وكان النظام التعليمي الذي أقامه بمصر، من أعظم الإصلاحات التي شهدتها مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والتي قدر لها الاستمرار والقوة والنماء.[5]

أرتكز محمد علي في خطته للنهوض بالتعليم على المحاور:

- ❖ انتقاء العناصر المميزة من دارسي الأزهر الشريف ليكونوا النواة العلمية النهضوية الشاملة.
- ❖ البدء في إنشاء المدارس العليا المتخصصة.

---

[1] كورخان، مرجع سابق ص13.
[2] الديهي، مرجع سابق، ص91.
[3] الطهطاوي، **مناهج الألباب...**، مصدر سابق ص212.
[4] الديهي، مرجع سابق، ص91.
[5] أحمد عزت عبد الكريم، **تاريخ التعليم في عصر محمد علي**، دط، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1834، ص27.

- ❖ إرسال البعثات التعليمية والعلمية والعسكرية والثقافية المصرية إلى أوربا لنقل العلوم والثقافة.
- ❖ إنشاء المدارس المتوسطية والابتدائية ونشرهما في ربوع القطر المصري.
- ❖ مجانية التعليم.
- ❖ توفير الحياة الكريمة لطلاب العلم وجميع النفقات الحياتية.
- ❖ ربط إنتاج العملية التعلمية والبحثية بخطط التنمية والبناء والتشييد في المجتمع .
- ❖ استقدام الخبرات الأجنبية إلى مصر للمساهمة في النهوض بالعملية التعلمية.[1]

بذل محمد علي جهوده في إحياء العلوم والآداب في مصر، وذلك بنشر المدارس على اختلاف درجاتها، وإرسال البعثات العلمية إلى أوربا، وقد أتبع في هذا السبيل تلك الفكرة التي أتبعها في إنشاء الجيش والأسطول، ذلك أنه إقتبس النظم الأوربية الحديثة في نشر لواء العلم والعرفان، فأسس المدارس الحديثة وأخذ من الحضارة الأوربية ما أنتجته العلوم والقرائح، فنهض بالأفكار والعلوم في مصر نهضة كبرى كانت أساس تقدم مصر العلمي الحديث.[2]

وقد بدأ محمد علي رحلته لإصلاح التعليم وبناء منظومة البحث العلمي باتخاذ الخطوات التالية:[3]

1- إنشاء المؤسسات التعلمية:

يرجع السبب الحقيقي لاهتمام محمد علي باشا بإنشاء المدارس إلى رغبته في تزويد جيشه الناشئ بالضباط والأطباء والمهندسين وغيرهم من الفنيين[4]، وبما تحتاجه دواوينه ومصانعه من الموظفين والصناع، وكان يرمي هذا النظام التعلمي إلى غرض واحد هو

[1] الديهي، مرجع سابق، ص92.
[2] الرافعي، مصدر سابق، ص397.
[3] الديهي، مرجع سابق، ص92.
[4] جاك تاجر، **حركة الترجمة في القرن التاسع عشر**، دط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص23.

إعادة موظفين للحكومة كذلك يقول محمد علي إلى أحد رجاله (كان القصد من إنشاء المدارس هو تعليم وتثقيف أبناء العباد)[1].

تمحورت جهود محمد علي إلى إنشاء ثلاث أنواع من المدارس أو تقسيم التعليم إلى ثلاث مراحل: إبتدائية وتجهيزية وخصوصية، وكان الغرض من المدارس الابتدائية إعداد التلاميذ للمدارس التجهيزية ونشر التعليم الأولي في البلاد، على أن يكون عدد تلاميذها جميعا 5500 تلميذ، والغرض من المدارس التجهيزية توسيع درجة التعليم بين المتخرجين في المدارس الابتدائية وإعدادهم للمدارس الخصوصية، والتعليم التجهيزي يكون في مدرستي إحداهما بالقاهرة والأخرى في الإسكندرية، وبالمدرسة الأولى 1500 تلمي، بينما المدرسة الثانية 500 تلميذ، وأما الغرض من المدارس الخصوصية إعداد الموظفين للإدارات المختلفة المدنية والحربية[2].

ومن المدارس التي أنشأها محمد علي نذكر:

أ- **مدرسة قصر العيني** : أنشأت سنة 1825م، مدرسة إعدادية للتعليم الحربي بقصر العيني[3]، كانت قبل ذلك محل نزهة ولهو، ثم حوله الفرنسيون إلى مستشفى ذي حصون، بعدها غيروه الأتراك وجعلوه ثكنة للفرسان، وبعد ذلك أضاف إليه محمد علي مباني جديدة،جعلته أكبر مما كان[4]، وكانت هذه المدرسة كالتجهيزية والمبتديان[5]، واسمها المدرسة الحربية، بدأت ب500 تلميذ يعدون لدخول المدارس الحربية والبحرية، ثم للمدارس العليا الأخرى، ثم نُقلت إلى أبي زعبل بعد أن خصص مبني قصر العيني لمدرسة الطب، وأصبح فيها سنة 1837م، حوالي 1200 تلميذ، وكان بمكتبتها 15000 كتاب.[6]

---

[1] عبد الكريم، مرجع سابق، ص ص 26-159.
[2] نفسه، ص 95.
[3] محمد عبد الفتاح أبو الفضل، **الصحوة المصرية في عهد محمد علي**، المجلس الأعلى للثقافة، السكندرية، 1999، ص109.
[4] الأصمعي، مرجع سابق، ص20.
[5] الطهطاوي، مناهج الالباب...، مصدر سابق، ص209.
[6] أبو الفضل، مرجع سابق، ص105.

ب- مدرسة الدرسخانة:

أنشأت سنة 1811 وكانت أول مدرسة حربية لتخريج الضباط أبناء المماليك ولسد حاجة دواوين الحكومة من الموظفين[1]، إذ كانت هذه المدرسة كالخصوصية يخرج منها المتخدمون بأي ديوان[2].

ج- مدرسة الطب:

أسست هذه المدرسة بأبي زعبل سنة 1827م، وكان غرضه من إنشائها ترقية هذا الفن في البلاد، حيث يوجد بها أطباء تسد حاجة الجيوش البرية والبحرية، وقد قدم له في هذا الشأن تقريرا جاء في آخره "يجب أن يكون بمصر مدرسة للطب يكون تلاميذتها من المصريين الذين يغارون على بلادهم ويحبون تقدم وطنهم[3].

أمر محمد علي بالشروع في تأسيس المدرسة وجعلها تحت رياسة كلوت بك[4] كما ألحقت بمدرسة الطب مدرسة خاصة بالصيدلة، ثم مدرسة للقابلات والولادة وألحقت بها مدرسة متخصصة في أمراض النساء فكانت هذه المدرسة أشبه بالمستشفى التعليمي[5] نتج عنها مشورة صحية تدير عموم الصحة االأهلية كما نتج عنها عدة استبتاليات نفعها عميم ترتبت في جميع الأقاليم[6].

د- مدرسة المهندسخانة :

أنشأت مدرسة المهندسخانة ببولاق وهي خامس مدرسة للهندسة بمصر وهي أعلى المدارس شأنا وأبقاها أثرا وقد بذلت لها حكومة محمد علي عناية خاصة ما جعلها من أهم المؤسسات العلمية في مصر حيث أفتتحت الدراسة بها في 1834 وكان بها ثلاثون

[1] مفيد الزيدي، **موسوعة التاريخى الاسلامي العصر العثماني**، دار أسامة، عمان، 2003، ص188.
[2] الطهطاوي، مناهج الألباب، مصدر سابق، ص109.
[3] الاسكندر مرجع سابق، ص 156.
[4] نفسه، ص156.
[5] بدوي، مرجع سابق، ص36.
[6] الطهطاوي مناهج الألباب ص 362.

تلميذا والغرض منها تخريج ضباط للخدمة في المدفعية برا وبحرا ومهندسين للأشغال العامة وموظفين لمصانع البارود حيث كانت مدة الدراسة بها ثلاث سنوات[1]

هـ-مدرسة العمليات:

كانت الحركة الصناعية تحتاج إلى صناع ومهنيين مدربين، فكانت إنشاء مثل هذه المدرسة أمرا حتميا، فالتدريبات المهنية كانت البوابة الأولى للنهضة الصناعية، إذ كانت الصناعات التي أدخلها محمد علي إلى مصر في حاجة ماسة إلى كيان علمي يستطيع أن ينهض به ويدفعه إلى الأمام، لذلك تم إنشاء أول مدرسة للعمليات في عام 1839م[2]، لتعود للنفع على الفنون والصنائع من سائر أنواع المنافع[3].

ز-مدرسة الولادة:

بدأ التفكير في إنشاء هذه المدرسة في العام الثالث من إنشاء مدرسة الطب سنة 1830م، لكن المدرسة لم تنشأ إلا بعد ذلك بعامين على إثر تقرير كلوت بك إلى محمد علي، ففي عام 1832م، صدر أمر عال إلى "حبيب أفندي" مأمور الديوان الخدوي من أن يختار من حرم قصر القلعة أغوين ملمين بالقراءة، والكتابة ليلحقا بمعية كلوت بك ويتعلما الطب والجراحة، وبذلك تكونت النواة الأولى لمدرسة الولادة الملحقة بمدرسة الطب البشري بأبي زعبل، فكان الدكتور كلوت بك مديرا للمدرستين[4].

وتعتبر مدرسة الولادة هي المدرسة الوحيدة للبنات أنشأت في عصر محمد علي، والتي كان لها تأثير اجتماعي في الوسط التي كانت تقوم فيه، ولأول مرة في تاريخ مصر الحديث تكون هناك فتيات وسيدات متعلمات يقمن بخدمة اجتماعية جليلة لبنات جنسهن، خدمة مؤسسة على العلم الصحيح[5].

---

[1] عبد الكريم، مرجع سابق ص 362.
[2] الديهي، مرجع سابق، ص99.
[3] الطهطاوي، مناهج الألباب...، مصدر سابق، ص209.
[4] عبد الكريم، مرجع سابق، ص ص 309-294.
[5] نفسه، ص309.

لما تقدمت المدارس التي أنشأها محمد علي، واتسع نطاقها رأى أن ينشئ لها إدارة خاصة سميت (ديوان المدارس)1837م، وكان موجودا من قبل باسم (مجلس شورى المدارس)، وأسندت رياسته إلى أمير اللواء أحد خريجي البعثة الأولى، خلفه بعد ذلك أدهم بك باشا وبقى يتولى هذا المنصب إلى سنة 1839م، وقد ساعد على تنظيم هذه الإدارة وتخرج نوابغ أعضاء البعثات وعودتهم إلى مصر، فكان هذا الديوان أول وزارة للمعارف في مصر[1].

2- البعثات:

إذا كان الاعتماد على استقدام الخبراء قد شكل المرحلة الأولى في عملية تأسس المؤسسات التعلمية الحديثة في مصر، فقد كانت المرحلة الثانية هي الاعتماد على الطلاب الذين تم إرسالهم للتعليم في الخارج من خلال برنامج البعثات العلمية لبلدان أوربا والذي أستهدف تكوين جديد من العلماء والمعلمين لحلول محل الأوربيين عند عودتهم للعمل كمدرسين في المدارس التجهيزية أو مؤسسين للمدارس العليا، وبناء أداة صالحة لنقل علوم الغرب وضخها في النظام التعليمي[2]، وهذه الفكرة تدل على ناحية من نواحي عبقرية محمد علي باشا[3]، فهو لم يكتفي بتوسيع دائرة التعليم في بلاده بل أرسل عدة إرساليات لتعلم العلوم والصنائع واستخراج الفنون والمنافع من معادنها واستنباط عيون المعارف من مواطنها[4].

أدرك محمد علي ما في هذه المخالطة من نفع لخططه في اصطناع الحديد والمال والعلم، بل أدرك أنها ضرورية كل الضرورة باعتبارها شرط أساس للنقل عن الغير والتي عدها رفاعة من أكبر ما أقدم عليه محمد علي[5]، حيث أعتزم أن ينقل إلى مصر معارف أوربا وخبرة علمائها ومهندسيها، ورجال الحرب والفنون فيها، وأراد أن تضارع عصر أوربا

[1] الرافعي، مصدر سابق، ص ص403- 404.
[2] سراج الدين، مرجع سابق، ص82.
[3] الرافعي، مصدر سابق، ص407.
[4] الطهطاوي، مناهج الألباب..، مصدر سابق، ص 209.
[5] بدوي، مرجع سابق، ص ص 52-53..

في مضمار التقدم العلمي والاجتماعي، فقد عمد إلى إرسال البعثات بغرض تكوين فئة من المصريين المثقفين لا يقلون عن أرقى طبقة مهذبة في أوربا[1]، ولعل أشهرها بعثة 1826م، والتي تميزت بإمامها المفكر والأديب رفاعة الطهطاوي الذي كان له دور كبير في ميزة الحياة الفكرية والعلمية في مصر[2]، من خلال رصده للمجتمع الفرنسي وشغفه بمعرفة كل شيء[3].

ومن جملة الإرساليات التي بعثها محمد علي نذكر:

البعثة الأولى:

أول بلاد بعث إليها محمد علي بعوثا علمية هي ايطاليا، فقد أوفد سنة 1813م، عدة تلاميذ لدرس الفنون العسكرية، وبناء السفن والطباعة والهندسة وغيرها، ولم يُعرف منهم سوى "نقولا مسابكي افندي"، والذي أرسل إلى ميلان لتعلم فن سبك الحروف ويدرس فن الطباعة، حيث أقام فيها أربعة سنوات وعاد إلى مصر وتولى إدارة مطبعة بولاق وبقى مديرا لها إلى أن توفي سنة1831م[4].

البعثة الثانية:

أُرسلت هذه البعثة سنة 1819م، لإتقان الفنون الحربية ولم يذكر منها سوى واحد فقط وهو "عثمان نور الدين أفندي"، الذي عاد إلى مصر سنة 1820م، وترقى في منصبه إلى رتبة (سر عسكر)، ورئيس الأسطول المصري سنة 1828[5].

البعثة الثالثة:

زاد اهتمام الوالي بإرسال البعثات الدراسية إلى فرنسا[6]، حيث قامت هذه البعثة في مايو سنة 1826م، ووصلت إلى فرنسا في يوليو[7]، كان عدد أعضائها أربعين ثم إلتحق بهم

[1] الرافعي، مصدر سابق، ص407.
[2] غبور، مرجع سابق، ص122.
[3] كورخان، مرجع سابق ص 206.
[4] طوسون، البعثات العلمية...، مصدر سابق، ص 10.
[5] بدوي، مرجع سابق، ص41.
[6] غبور، مرجع سابق، ص122.
[7] طوسون، البعثات العلمية، مصدر سابق، ص12.

الشيخ رفاعة ووكيل خرجها، ثم عضوان آخران وقد استقبلهم جومار، عضو المجتمع العلمي الفرنسي وصديق مصر والدوائر العلمية في باريس خير استقبال، فدرسوا التاريخ والحساب والهندسة، وأهم من ذلك اللغة الفرنسية قراءة وكتابة، وقد رغبت الحكومة في حثهم على العمل، حيث يفيدوا من دراستهم في بلاد الغرب أكبر فائدة، فكانوا يمتحنون كل شهر، وقد بلغ اهتمام محمد علي على بحث تلاميذه على العمل أن كان يوجه إليهم كل بضعة أشهر الفرمانات، وأورد طائفة منها الشيخ رفاعة العضو في هذه البعثة حيث قال: كان محمد علي يذكر لأعضاء البعثة ما لاحظه في جداول دراستهم الشهرية التي أرسلت إليه من نجاح أو تقصير، فإن كان الأول فهو يهنئهم ويطالبهم بالمزيد، وإن كان الأخر فهو يؤنبهم ويهددهم[1]. كذلك هناك بعثات أخرى منها:

بعثة 1828م:

أرسلتها الحكومة إلى فرنسا، وكانت مؤلفة من 24 تلميذا تخصص معظمهم في الهندسة والرياضيات، وبعضهم في الحربية أو العلوم السياسية والطب[2].

بعثة 1829: كان عدد المبعوثين فيها جميعا ثمانية وخمسون: منهم أربعة وثلاثون إلى فرنسا لدراسة صناعة البصمة وآلات الجراحة، والصباغة وصناعة الأقمشة، وأربعة إلى النمسا لتعلم صناعة نسيج الصوف، وعشرون إلى انجلترا لتعلم الميكانيك وصناعة خشب المدافع وغيرها[3].

بعثة 1832م:

بلغ عدد أعضائها أثنا عشر تلميذا، وقد نبغ معظمهم وخلدوا أسمائهم بما قاموا به من جلائل الأعمال، وتجلى نبوغهم في نشر العلوم الطبية في مصر وخاصة بمدرسة الطب

[1] عبد الكريم، مرجع سابق، ص ص435-438.
[2] الرافعي، مصدر سابق، ص413.
[3] عبد الكريم، مرجع سابق، ص439.

تدريسا وترجمة وتأليفا، وفي الاضطلاع بالأعمال الصحية في البلاد، وهم من أوائل خريجي مدرسة الطب بأبي زعبل[1].

بعثة 1844م:

هي من أعظم البعثات التي أرسلت إلى فرنسا وأعظمها شأنا وهي أخر بعثة كبرى أوفدها محمد علي باشا، وقد أنتخب القائد سليمان باشا الفرنساوي تلاميذها من نوابغ طلبة المدارس المصرية العالية بمصر، فالبعثة كان الغرض منها تخصيص أعضائها في العلوم الحربية[2].

بعثة 1845م:

أرسلت من مصر بعثة طبية إلى النمسا وفرسنا مؤلفة من ثمانية أعضاء، ولم يلبثوا إلا عاما، وعادوا إلى مصر، فأعطيا تلميذين من مدرسة الطب البشري ليعلموهم فنهما، ثم افتتحت لهما الحكومة عيادة لعلاج وتعليم التلاميذ[3].

3- الترجمة:

شكلت حركة الترجمة أكبر إنجاز تحقق في عهد محمد علي فيما يتصل بالعلم والثقافة[4]، حيث كلف محمد علي عثمان نور الدين وهو أحد أعضاء البعثة الأولى بإحضار كتب فرنسية في العلوم، بما فيها الاقتصاد السياسي وتدفقت الكتب بعد ذلك من كل ناحية، ونظم الباشا أمر ترجمتها وتزويد المدارس بها لتكون مراجع للأساتذة ومواد قراءة للطلبة[5]. وكان اهتمام محمد علي بالترجمة مفهوما حيث اعتبرها معبرا مهما وحيويا لنقل الثقافة والمعارف الأوربية الحديثة إلى مصر، حيث استعان في البداية بالوافدين الأجانب مثل: كلوت بك الذي ترجم 152 مؤلفا[6].

[1] الرافعي، مصدر سابق، ص416.
[2] الرافعي، مصدرسابق، ص417.
[3] عبد الكريم، مرجع سابق، ص447.
[4] عباس حامد، مرجع سابق، ص7.
[5] زايد، مرجع سابق، ص17.
[6] تاجر، مرجع سابق، ص26.

واجتازت حركة الترجمة في عهد محمد علي على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: من خلال ترجمة الكتب المدرسية والفرنسية إلى اللغة العربية أو التركية، حيث إستخدم لهذا الغرض بعض النازلين من السوريين والفرنسيين، إلا أن الأيدي العاملة كانت نادرة وكان العمل غير منظم فقرر عدم نقل الملفات في وقت واحد فكلف المترجمين التدرج في نقلها على حسب الحاجة.

المرحلة الثانية: استعان محمد علي بعدد من الأجانب لتنفيذ البرنامج الذي وضعه، من خلال إرساله للمصريين إلى أوربا ليتعلموا بغية أن يحلوا محل الأجانب، وطلب إليهم ترجمة الكتب النافعة على انه لم ينتظر عودتهم إلى مصر ليكلفهم بأعمال الترجمة بل أمرهم بالشروع فيها وهم يتلقون العلم في العاصمة الفرنسية[1].

المرحلة الثالثة: من خلال إنشاء مدرسة الألسن[2]، حيث كانت المدارس التي أنشأها محمد علي تعتمد اعتمادا كبيرا على الأجانب، كما أن عدم معرفة الأجانب للغة العربية كان يمثل عائقا كبيرا في عملية التواصل، لذلك كان تفكير محمد علي في إنشاء مدرسة للغات، كلغات الألسن والترجمة تكون بمثابة الحل الأمثل، فإتقان اللغات الأجنبية تمثل جسرا أمنا للتواصل والتفاعل مع العالم الخارجي، وفي عام 1836م تم إنشاء مدرسة الألسن للغات والترجمة بالأزبكية وتولى نظارتها رفاعة الطهطاوي[3]، الذي كان من كبار المترجمين والذي قام بمراجعة طائفة كبيرة من الكتب المترجمة وتعميمها، ومما يذكر أن الذين اشتغلوا في الترجمة تلقوا عناية خاصة بترجمة المصطلحات وإلحاق قائمة بها بالكتب المترجمة[4]، ولذلك كان القصد منها ترجمة الكتب العربية، وترجم فيها الكثير من العلوم المتنوعة، ودخل رجالها في الخدمات الميرية وعاد منهم على البلاد بالمنفعة[5].

ومن أهم الكتب التي ترجمت في عهد محمد علي نذكر:

---

[1] تاجر، مرجع سابق، ص ص 31-26.
[2] نفسه، ص33.
[3] الديهي، مرجع سابق، ص97.
[4] محمود زايد، **محمد علي رائد التجديد في العالم العربي**، مجلة تاريخ العرب والعالم، (ع1)، 1978، ص17.
[5] الطهطاوي، مناهج الألباب...، مصدر سابق، ص211.

1- **تاريخ نابليون بونابرت:** وهو مذكراته التي كتبها بنفسه حينما كان منفيا في جزيرة "سانت هيلانة" ترجم عن الفرنسية إلى التركية وطُبع في بولاق سنة 1832م، ولم يعثر على اسم مترجمه.

2- **ترجمة مظهر التقديس بخروج الفرنسيين:** تأليف المؤرخ المصري الكبير الشيخ عبد الرحمان الجبرتي، ترجمته عن العربية إلى التركية، السيد أحمد عاصم أفندي، ولا يزال هذا الكتاب مخطوط في دار الكتب الملكية بالقاهرة.

3- **الأمير في علم التاريخ والسياسة والتدبير:** تأليف ميكيافلي، ترجمه عن الايطالية إلى العربية رافاييل أنطوان زاخور، ولا تزال نسخة المخطوطة محفوظة في دار الكتب الملكية[1].

كان لهذه الحركة أهميتها في إطلالة العالم الإسلامي على علوم الغرب وثقافته، فقد أعيدت ترجمة ما نقل إلى العربية من أمهات الكتب إلى اللغة الفارسية والتركية، ولاشك أن تلك الترجمات فتحت الباب على مصراعيه أما ممن أخرجتهم المدارس الحديثة وغيرهم من القراء للوقوف على الثقافة الغربية، وإذا كان إيقاع الترجمة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر قد أبطأ إلا أن الكثير من أمهات الكتب في الفكر الاجتماعي والسياسي تمت ترجمتها ونشر بعضها على صفحات الجرائد، فأفاد منه قطاع عريض من القراء[2].

ولقد مهدت حركة الترجمة لرقي حركة التأليف والإبداع وازدهارها وكذلك في ذيوع الفكر والثقافة العلمية وانتشارها وهو ما مهد السبيل إلى ظهور طائفة من الأدباء والمثقفين المنتمين إلى الأفندية بعد أن كانت الكتابة محصورة في شيوخ الأزهر وعلمائه[3].

وقد كان تطور الصحافة المصرية أيضا وجها من وجوه صراع مصر في سبيل الإستقلال والديمقراطية، فمحمد علي الذي صارع الاستعمار التركي شجع الصحافة العربية والأجنبية

---

[1] الشيال، تاريخ الترجمة...، مرجع سابق، ص166.
[2] عباس حامد، مرجع سابق، ص97.
[3] سراج الدين، مرجع سابق، ص85.

في مصر لتدافع عن استغلال الإدارة المصرية[1]، فكانت بذلك الصحافة عاملا هاما لنقل الأفكار الوافدة من الغرب وتفتيح الأذهان على أشياء جديدة لم تكن مألوفة بالدستور وحقوق المواطن اتجاه الحكومة والأوضاع الاجتماعية وغيرها من القضايا التي خلقت أرضية خصبة لتحديد الفكر ونافذة أطل منها جيل جديد من الكتاب، تأثر بالثقافة الغربية بدرجة أو بأخرى طرح من خلالها أفكارا إصلاحية مستمدة من التراث الثقافي التقليدي[2].

خلاصة:

تقلد محمد علي باشا ولاية الحكم بإرادة زعماء الشعب ونزولا عند رغبتهم، فالزعامة الشعبية هي التي أبلغته سلطة الحكم بعدما أدرك مبكرا أهمية مصر وطبيعة المرحلة المضطربة، هذا ما جعله يستغل الفرصة ويُثبت أقدامه في الحكم، ليعلن بعدها عن برنامج إصلاحي ظهرت تجلياته من خلال محاكاة التجربة الأوربية للاستفادة من منجزات الغرب السياسية سواء الإدارية أو العسكرية بالاعتماد على الخبرات الأجنبية، أو الثقافية من خلال البعثات العلمية.

[1] لويس عوض، **تاريخ الفكر المصري الحديث من عصر إسماعيل إلى الثورة1919**، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د-ب-ن، 1983، ص 220.

[2] عباس حامد، مرجع سابق، ص7.

المبحث الثالث: القضايا الاقتصادية والاجتماعية.

- المطلب الأول: الوضع الاقتصادي.

- المطلب الثاني: الوضع الاجتماعي.

شكل الجانب الاقتصادي جزء مهم من اهتمامات محمد علي، فبعد تحديث التعليم والذي كان يراه الهدف الأول من أجل إقامة مجتمع نموذجي يعتمد على أبجديات العلم الحديث، انتقل بعدها لإصلاح الوضع الاقتصادي معتمدا في ذلك على سلسة من الإجراءات والأخذ بأساليب الزراعة الحديثة من أجل الرفع بالاقتصاد المصري.

1- الوضع الاقتصادي:

كان النظام الاقتصادي من مكملات الخطة التي سار عليها محمد علي لتشييد صرح الدولة الفتية التي إعتزم إنشائها[1]، حيث أدرك أن ثروة البلاد والمحافظة على كيانها المالي من أكبر دعائم الاستقلال، لأن العمران هو أسباب التقدم والثروة الأهلية وهو قوام الاستقلال المالي ولا يتحقق الاستقلال المالي ولا الاستقرار السياسي دون دعم الاستقرار المالي والاقتصادي، لذلك كان أول ما هدف إليه محمد علي في سياسته إصلاح حالة البلاد الاقتصادية[2]، حيث كانت العقبة الرئيسية في طريق تقدم مصر الاقتصادي هي سيطرت البكوات المماليك على مسار الأمور في البلاد، ونفوذ علماء الدين، حيث كانت مصدر قوة هاتين الطائفتين هو سيطرتهما على الأراضي الزراعية، وبالتالي على الدخل الناتج عنها، لهذا عمل محمد علي منذ بداية ولايته على تغيير نظام الضرائب الزراعية الذي كان يعطي المماليك والنبلاء النصيب الأكبر من عائدات الضرائب، وقرر الوالي فرض نوع جديد من الضرائب المباشرة ونزع ملكية الأراضي الزراعية بعد أن قام بعمل مسح جديد للأراضي المزروعة[3].

بدأ محمد علي يبني أسس جديدة لم تعرفها مصر من قبل، وقوام هذه الأسس أشراف الحكومة على ما للبلاد من زراعة وصناعة وتجارة، بل احتكارها النشاط الاقتصادي كله في يدها[4].

---

[1] هريدي، تاريخ مصر...، مرجع سابق، ص37.

[2] عصام عبد الفتاح، **محمد علي عبقرية الإدارة وصناعة التاريخ**، دط، الشريف ماس للنشر والتوزيع، القاهرة، د س ن، ص42.

[3] غبور، مرجع سابق، ص129.

[4] عبد الكريم، مرجع سابق، ص30.

كانت القاعدة الاقتصادية ذات طابع خاص وأهمية متفردة، فبنية البنيان الاقتصادي هي الضمانة الوحيدة لنجاح جميع البرامج التعليمية والعسكرية التي تحتاج حتما إلى أموال طائلة لا يمكن أن تتوفر دون برامج وخطط اقتصادية فعالة[1]، ومن المعلوم أن منبع سعادة مصر بالأصالة الزراعية، فلا يسوغ لها أن تتوقع الثروة إلا من المحاصيل الزراعية دون غيرها[2].

وكان تحديث طرق الزراعة الخطوة التالية الضرورية لإنتاج كيان صناعي يرتبط ارتباطا وثيقا بالزراعة، ولأن محمد علي كان تاجرا بحكم الماضي، كان من الطبيعي أن يهتم أيضا بملف التجارة[3]، حيث اتبع سياسة اقتصادية قائمة على مبدأين هما:

أولا الاستقلال الاقتصادي والثاني الاحتكار والتوجيه معتمدا في ذلك على ثلاث مصادر أساسية وهي:

- ✓ الأرض وما يتصل بها من شؤون الملكية والاحتكار الزراعي والعناية بالري.
- ✓ الاحتكار التجاري، وما ارتبط به من ضرورة الهيمنة على وسائل النقل والطرق التجارية.
- ✓ الضرائب وما جمعه محمد علي من احتكارات متعددة وبخاصة احتكار البن والنيلة[4].

فكان ميل جانتمكان[5] متوجها كلية في بذل مجهوده وقوة نشاطه لإحياء عملية الري والزراعة وذلك من خلال[6] :

1-1 الزراعة والري:

[1] الديهي ، مرجع سابق، ص113.
[2] الطهطاوي، مناهج الألباب...، مصدر سابق، ص193.
[3] الديهي، مرجع سابق، ص113.
[4] صلاح أحمد هريدي، **الحرف الصناعات في عهد محمد علي**، (تق) : عمر عبد العزيز عمر، دار المعارف، بيروت، 1985، ص141.
[5] جانتمكان : هي لفظ تركي محرفة عن العربية أي ساكن الجنان، وقد كان هذا اللقب يطلق على سلاطين آل عثمان، كما ورد هذا اللقب للعديد من ولاة مصر في القرن التاسع عشر، كما اتخذ كلقب لمحمد علي بتاريخ 1278هـ. للمزيد ينظر : مصطفى بركات، **الألقاب والوظائف العثمانية**، دار غريب، القاهرة ، 2000م، ص305.
[6] الطهطاوي، مناهج الالباب...، مصدر السابق، ص196.

كانت الزراعة في أوائل القرن التاسع عشر تتوقف على قوت الرعية والأموال المفروضة على الأرض الزراعية، مما أكسب الزراعة وضعا خاصا جامدا أخرج الزراعة والأرض من نطاق التجارب والتبادل الحر، وخضع الفلاحون لنظام مقيد لحريتهم[1].

بدأت الحكومة بضبط مرافق البلاد الاقتصادية تحت إشرافها، ولما كانت الأرض أهم موارد البناء، كان لابد من اصطناع سياسة جديدة للإشراف على الزراعة والقائمين عليها[2]، حيث ابتدأ محمد علي بالضبط والكشف والتحقيق في كل ما يتعلق بحقوق الخزانة العامة وفي أمور الالتزامات الزراعية بصفة خاصة[3]، وكان أول عمل شعر بضرورة تنفيه هو القضاء على نظام الالتزام[4]، الذي كان سائدا في مصر العثمانية[5]، حيث ألغى هذا النظام ونزع الأراضي التي كانت تحت أيدي الملتزمين والتي كان الفلاحون يزرعونها ويدفعون خزينتها، واعتبرها ملكا للحكومة ووزع منفعتها على الفلاحين وخوّل كل قادر على العمل زراعة أفدنة أو أربعة أو خمسة، وبذلك آلت له حقوق الملتزمين وسلطتهم وصارت علاقة الفلاحين بالحكومة مباشرة، بعد أن كانت علاقتهم بالملتزمين[6].

كما قام بعملية مسح أراضي مصر مسحا شاملا وكانت قد بدأت عملية مسح أراضي الصعيد في عام 1813م، كما بدأ مسح أراضي الوجه البحري في أوائل سنة 1814م[7].

---

[1] أحمد أحمد الحتة، **تاريخ الزراعة المصرية في عهد محمد علي**، (تق) : صبري أحمد العدل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2011م، ص20.
[2] بديع شريف، مرجع سابق، ص548.
[3] الحتة، مرجع سابق، ص19.
[4] نظام الالتزام : هو نظام يقضي بتقديم دخل مالي من المتعهدين للحكومة، ثم يجمعه هو كما يشاء وتسانده قوة حكومية لجمعه. للمزيد ينظر : صابان، مرجع سابق، ص363.
[5] عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ مصر الحديث والمعاصر**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993، ص249.
[6] الرافعي، مصدر سابق، ص527.
[7] عبد العزيز عمر، مرجع سابق، ص255.

وكان إلغاء الالتزام تطورا اجتماعيا واقتصاديا خطيرا، إذ مكن سلطان الدولة من التغلغل في كافة أنحاء البلاد ومن السيطرة على أهم موارد الثروة[1]

كما استولى بعد ذلك على معظم الأراضي الموقوفة التي كانت تحت رعاية العلماء فجعل الوقف تحت رقابته مما أبدى العلماء معارضة شديدة فأقنعهم بالدليل القاطع أنه الوالي من قبل الخليفة الذي يتولى أمور المسلمين جميعا فهو أحق فرد في مصر برعاية الوقف[2].

اهتم محمد علي بشؤون الزراعة ورسم للبلاد سياسة زراعية جديدة قوامها تغيير أساليب الزراعة البالية، والتوسع في زراعة المحاصيل وإدخال محاصيل جديدة تُزرع في مصر لأول مرة[3]، وقد اقتضى تنفيذ السياسة الزراعية الجديدة على أمرين:

الأول: تدبير الماء اللازم لتوسيع الرقعة المستصلحة للزراعة.

الثاني: تنويع الزراعة المصرية بإدخال زروع جديدة.[4]

إذ كانت الزراعة في مصر محدودة الأنواع وهي القمح والذرة والسمسم والخضر والفواكه المحدودة وقليل من القطن الرديء، فقام محمد علي بإدخال أنواع زراعية جديدة عالية الإنتاج تعمل على تحسين الزراعات المتدهورة[5]، فأحضر بعض الخبراء الزراعيين من الأجانب لتعليم الفلاحين الأساليب الصحيحة وأرسل البعوث إلى أوربا للوقوف على أحدث ما وصل إليه علم الزراعة والتمرين على فروع الاقتصاد الزراعي في حقول التجارب المشهور وأنشأ مدرسة الزراعة فتخرج منها أخصائيون خدموا الزراعة المصرية[6].

[1] الإسكندر، مرجع سابق، ص144.
[2] نفسه، ص145.
[3] سراج الدين، مرجع سابق، ص55.
[4] الإسكندر، مرجع سابق، 150.
[5] أبوالفضل، مرجع سابق، ص113.
[6] الحتة، مرجع سابق، ص27.

ومن المحصولات التي جلبها وكانت نتيجة زرعها إزدياد ثروة البلاد نذكر:[1]

أ- غرس الأشجار:

غرس محمد علي في بعض أنحاء القطر العدد الوفير من الأشجار على اختلاف أنواعها لاستخدام أخشابها في بناء السفن وأعمال العمران، وذلك بعد أن قطع كثيرا من الأشجار المغروسة لاتخاذ أخشابها في إقامة السواقي، وصنع عربات المدافع والسفن الحربية[2]، كما أنها تحفظ القطر المصري من ريح السموم وتقيه من وخامة الهواء المسموم، لأن الأشجار العالية الجافة متى غرست في الجهات المجاورة للبراري والصحاري، وقت المزارع من التلف وحفظت الأهالي من الأمراض الناشئة في الغالب عن هبوب الرياح المضرة، وإذا حصل ذلك كله توفر في قطر مصر الخير والبركة في محصولاتها وتواجد فيها من المؤونة والمعونة قوت أهلها[3]، كما أدخل محمد علي دود القز في مصر وتوسع في تربيته فأكثر من غرس أشجار التوت وأنشأ محطات للتربية، وجلب بعض الدود من الشام واليونان وعلم الأهل زراعة التوت وتربية دود القز بمساعدة أخصائيين من الأجانب[4]، لأن تربية دود القز بمصر تعطي مع السهولة محصولا وفيرا لمساعدة الحكومة له، ومن هنا يُفهم أن مصر صالحة جدا لتربية دود القز، ولا يساويها في الصلاحية غيرها من البلدان، فإن زراعة التوت متى نتجت ونتجت التربية والإستحواذ على جوز الحرير ترتب عن ذلك نتاج المصانع والمشغولات الحريرية.[5]

ب- القطن:

[1] الإسكندر، مرجع سابق، ص147.
[2] الرافعي، مرجع سابق، ص497.
[3] الطهطاوي، مناهج الالباب...، مصدر سابق، ص252.
[4] الحتة، مرجع سابق، ص28.
[5] الطهطاوي، مناهج الألباب...، مصدر سابق، ص249-265.

يعتبر زراعة القطن عماد الثروة في مصر[1]، ومن أنفع المواد للديار المصرية لدخولها قديما وحديثا في مصانع البلدية[2]، ففي سنة 1821م حدث في مصر انقلاب في زراعة القطن، ذلك أن المسيو جوميل الذي إستقدمه محمد علي من فرنسا لتنظيم مصانع النسيج شاهد في حديقة "محو بك" نوع جيد من القطن فأعجبته رتبته وأشار إلى محمد علي أن يعمم زراعته في الأراضي الزراعية، وقد تفطن محمد علي إلى ما ينال مصر من الأرباح الوفيرة إذا أكثر من زراعته، فشجع الفلاحين على زراعته، ولم تمضي عدة سنوات حتى انتشر هذا القطن وصار يعرف بإسم جوميل، كما أدخل محمد علي نوع آخر وهو قطن (سي ايلاند) الأمريكي، ومن ثم أخذ القطن المصري في التنافس، وتقدمت زراعته وأخذ المحصول يزداد سنة فسنة، ولم تمضي سنوات حتى صدرت مصر من هذا القطن سنة1827م، حوالي 344 ألف قنطار، وأصبح القطن على توالي السنين أساس ثورة مصر الزراعية.[3]

ج- قصب السكر:

اعتنى محمد علي بغرسه والإكثار منه واستخراج أنواع العسل خصوصا وأن سكر مصر لا يفوقه في الجودة والحلاوة غيره، حيث قال الحكيم جالينوس: لولا قصب السكر بمصر ما برئت أهاليها من العلل سريعا، وقيل أيضا: يُعمل من قصب السكر نحو ألف نوع من الحلواء، وهو كثير في الديار المصرية لا يكاد ينقطع عنها إلا خمسة أشهر في السنة.[4]

كما كانت زراعة الأرز في الأقاليم البحرية ملتفت إليها كل الإلتفات ولها خصائص ومزايا بمعافاة زرّاعها من كثير من العمليات وقد صح بالاجماع والإتفاق ان أرز مصر

[1] عبد الفتاح، مرجع سابق، ص42.
[2] الطهطاوي، مناهج الألباب...، مصدر سابق، ص256.
[3] الرافعي، مرجع سابق، ص497.
[4] الطهطاوي، مناهج الألباب...، مصدر سابق، ص 250-267.

أجود من غيره على الإطلاق ولايفوقه في طعمه صنف من أصناف أرز الدنيا لاسيما نموه بالنضج نموا وافرا[1].

وقد اقتضى الاهتمام بالزراعة العناية بشؤون الري[2]، فقد كانت الزراعة بمصر تعتمد بصورة كبيرة على نظام ري الحياض الذي يقوم على غمر الأرض الزراعية بمياه النيل[3]، وفي سبيل تنمية الثروة الزراعية قام بصيانة منشأة الري والصرف وتجديدها من خلال ضبط النيل على وجه جديد[4].

ومن المعلوم أن مصلحة الري التي هي عبارة عن عمل الجسور والقناطر هي من أهم مصالح الحكومة، لأن هذه المصلحة النيلية لها مدخل عظيم في غنى الأهالي وسعادتهم، كما أن لها تأثيرا عظيما في تكثير إيراد المملكة المصرية، لأن النيل هو رأس مال البلاد والأقاليم فمصلحة الرأي العمومي هي عملية الاقتصاد في النيل وتدبير مياهه[5].

كانت مشاريع الري التي خططت لها الحكومة تهدف إلى تخزين مياه النيل لاستعماله عند الحاجة، حيث يمكن بهذا الأسلوب زراعة المحاصيل الصيفية على نطاق واسع[6]، حيث لفيضان نهر النيل أثر فعال في الزراعة المصرية، وانخفاضه بسبب نقصا في الحاصلات نظرا لقلة المياه اللازمة للزراعة، مما يؤدي إلى ترك بعض الأراضي بدون ري.[7]

أنشأ محمد علي الجسور على شاطئ النيل وذلك لمنع طغيان الفيضان على الأراضي الزراعية، وقد أُقيمت لهذا الغرض عشرات الجسور، مثل جسر الرقة في بني سويف، والبرانقة في المنيا، و إلى جانب الجسور تم إنشاء القناطر لضبط مياه النيل، تيسيرا

[1] نفسه ،ص267.
[2] هريدي، تاريخ مصر.. ، مرجع سابق، ص43.
[3] لطفي، مرجع سابق، ص 225.
[4] الحتة، مرجع سابق، ص21.
[5] الطهطاوي، مناهج الألباب...،مصدر سابق، ص202.
[6] لطفي، مرجع سابق، ص226.
[7] الحتة، مرجع سابق، ص35.

للإنتفاع بها في ري المزروعات مثل : قناطر بحر مويس بالزقازيق، والقناطر الخيرية في عرض النيل عند رأس الدلتا.[1]

كما يعتبر برنامج حفر الترع وإنشاء الجديد منها من أضخم برامج أعمال محمد علي، ومن الترع التي أُنشأت:[2]

ترعة المحمودية: حيث تعتبر من أجل أعمال محمد علي التي قام بإنشائها الفرنسيان كوستا وماسيه بين فرع رشيد والإسكندرية[3]، وكان افتتاح هذه الترعة سنة 1820م، أستعملت لنقل البضائع الواردة بحرا إلى الدلتا، فاكتسبت الإسكندرية بذلك أهمية كبرى[4]، حيث أوصلت الإسكندرية بنهر النيل وسيرت النقل الداخلي والملاحة النهرية، وأتاحت لها التزود بالمياه العذبة واستعادت رخائها القديم[5]، واتسعت الزراعة في ذلك الإقليم، ولاشك أن هذه الزراعة كان لها خصوصا في ذلك الوقت الذي لم تنشأ فيه السكك الحديدية أثر كبير في نمو مدينة الإسكندرية وعمارتها وقد كفلت الحكومة سبعة ملايين ونص من الفرنكات أنجزت في عشرة أشهر وصارت مصدر ثروة ورفاهية[6]، فكانت بذلك من أعظم الترع التي عمد جنتمكان محمد علي على إنشائها.[7]

ولا تكتمل مصلحة الري إلا بإيجاد القناطر الخيرية على فرعي النيل المفترقين أحدهما شرقي وهو فرع دمياط، والثاني غربي وهو فرع رشيد[8]، وإن كانت آخر أعماله في الري إلا أنها أعظمها نفعا وأجلها شأنا وأبقاها أثرا، حيث عهد محمد علي بدراسة هذا المشروع

---

[1] سراج الدين، مرجع سابق، ص53.
[2] علي شفعي بك، **أعمال المنافع العامة الكبرى في عهد محمد علي**، دط، دار المعارف، مصر،1950م، ص25.
[3] صبري، مرجع سابق، ص50.
[4] جورجي زيدان، **تاريخ مصر الحديث مع فذلكة في تاريخ مصر القديم**، دط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة،2012م، ص196.
[5] محمد صبري السربوني، **الإمبراطورية المصرية في عهد محمد علي والمسألة الشرقية**، (تر) : ناجي رمضان عطية، (تق) : أحمد زكريا الشلق، ج1، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012م، ص144.
[6] صبري، مرجع سابق، ص50.
[7] الطهطاوي، مناهج الألباب...، مصدر سابق، ص197.
[8] نفسه، ص206.

إلى جماعة من كبار المهندسين، منهما المسيو لينارديي بلفون، كبير مهندسيه فوضع له تصميما و شُرع في العمل وفقا لهذا التصميم سنة 1834م.[1]

وتعود أهمية القناطر الخيرية إلى أنها ساهمت في توفير مياه الري دون استخدام آلات رفع المياه وإمكانية الري الدائم بصرف النظر عن حجم مياه الفيضان وطبيعتها إلى جانب تحسين الملاحة من الترع، وانخفاض تكاليف النقل وحصول ترعة المحمدية على المزيد من المياه[2].

وهكذا كانت جهود محمد علي في الزراعة المصرية مما جعل تاريخها في النصف الأول من القرن التاسع عشر ذا أهمية خاصة نظرا لرقيها وتقدمها.[3]

2-1 الصناعة:

شهدت مصر في عهد محمد علي نهضة صناعية عظيمة عمت تلك النهضة جميع أرجاء البلاد، وتحولت مصر إلى قلعة صناعية كبيرة، إذ شهدت ولأول مرة في تاريخها ها الكم الضخم من الصناعات الثقيلة، التي أسهمت في بناء هذه الإمبراطورية الضخمة بطريقة مباشرة[4].

ومن أهم الأسباب التي دفعت محمد علي إلى تصنيع مصر هي أولا إمداد الجيش المصري والبحرية المصرية بما يحتاجانه من أعتدة، وثانيا تعديل الميزان التجاري لصالح مصر وثالثا الإكتفاء الذاتي الذي يرتبط إرتباطا وثيقا بالميزان التجاري[5].

رأى محمد علي أن الممالك الصناعية بأوربا على جانب عظيم من الثروة وسعة الرزق، فحاول إدخال صناعات في مصر وأن يشجع الصناعات الوطنية أيضا حتى يتسنى له

[1] الرافعي، مصدر سابق، ص493.
[2] سراج الدين، مرجع سابق، ص53.
[3] الحتة، مرجع سابق، ص29.
[4] الديهي، مرجع سابق، ص126.
[5] زايد، مرجع سابق، ص17.

صنع كل ما يحتاج إليه من لوازم الجيش ومعدات الأسطول، وأن ينافس الغرب في صناعة المنسوجات.[1]

إتبع محمد علي سياسة الإحتكار بالنسبة للصناعة فوضع يده على المصانع واستخدم الصناع فيها بالأجرة، وأخذ يبيع المنتجات لحساب الدولة، وقد وسع نطاق الصناعات القديمة وفي مقدمتها صناعة النسيج، فقد أنشأ مصانع كبرى زودها بأحدث الآلات الأوروبية، واستخدم فيها عمالا أوربيين، خاصة من ايطاليا ومالطة إلى جانب المصريين، ومما ساعده على التوسع فيها وجود القطن ذي التيلة الطويلة الذي أدخل زراعته بناء على اقتراح الفرنسي جوميل.[2]

ثم أنشأت الحكومة بعد ذلك في بولاق فابريقة "مالطة" نسبة إلى العدد الكبير من العمال المالطيين الذين كانوا يعملون فيها، فأُعدت لغزل القطن ونسج الأقمشة مختلفة الأنواع وكان فيها ورشة لإصلاح آلاتها إضافةإلى ورشة للنجارة، وورشتين للخراطة، وكان بالقرب من الفابريقة 80 ورشة حدادة لصنع مراسي المراكب ومعمل لسبك الحديد.[3]

إذ يقول "المسيو لينال" أن الأقمشة الحريرية التي كانت تخرجها مصانع مصر، كانت تضارع أجمل ما تخرجه مصانع ليون الشهيرة بفرنسا[4].

ومن الصناعات التي أولاها محمد علي المزيد من اهتمامه، هي الصناعات الحربية ففي عام 1820م، أنشأ ترسانة القلعة لصنع المدافع، وقد بلغ عدد عمالها عام 1833م، 1500 وكانوا ينتجون بين ثلاثة وأربعة مدافع في الشهر، وفي عام 1829م، أنشأ الترسانة الكبرى لصنع السفن الحربية[5]، فلم يعتمد محمد علي على شراء السفن من الموانئ الأجنبية بل عقد العزم على بناء هذه السفن في مصر ذاتها وبإمكانياتها واعتمد

[1] الإسكندر، مرجع سابق، ص148.
[2] زايد، مرجع سابق، ص18.
[3] عبد الفتاح، مرجع سابق، ص62.
[4] شفعي بك، مرجع سابق، ص66.
[5] زايد، مرجع سابق، ص18.

على ذلك في جودة مناخها فضلا على وفرة الأيادي العاملة وكان الأمر يستلزم المهندسين البارعين للإشراف على بناء السفن وتعليم المصريين فنون الصناعة والملاحة البحرية[1]، فرخّص لمهندس السفن "سيريزي بك" الرخصة التامة في حسن إدارتها[2]، حيث عُرف عنه الفنون البحرية وخاصة في بناء السفن والأحواض والترسانات، وقد كان نتيجة إنشاء ترسانة الإسكندرية أن أدى ذلك إلى نهضة عمرانية واجتماعية[3]، وترتب عن هذه الترسانة مصانع ومعامل متنوعة ومخازن مهمات ومفاتل أحبال وأنشأ بهذه الترسانة أيضا كثيرا من السفن الحربية ذوات المائة مدفع وغير ذلك حتى صارت دونتما[4]عظيمة، واستخدم فيها الأهالي وكذلك كان الشغالون وأرباب الصنائع فيها من الأهالي المصرية، وكان جميع المستخدمين بالدوننما والترسانة على الطراز العسكري، فكان أهلها يرقون إلى الرتب العسكرية على حسب معارفهم.[5]

كما اهتم محمد علي بإقامة العديد من الصناعات التحويلية مثل: صناعة قصب السكر الذي أقام لها ثلاثة مصانع، كما قام بإنشاء مصنع للزجاج بالإسكندرية، وأقام معملا لصنع الورق في بولاق سنة 1814م، كما اهتم أيضا بإقامة العديد من الصناعات الأخرى التي كانت مصدرا لعمليات التصدير والتبادل التجاري مثل: صناعة صبغة النيلة التي أقام لها 16 مصنعا لإنتاج صبغتها موزعة على كل المديريات وكان إنتاجها على درجة عالية من الجودة واستخدم صباغة أقمشة الحرير، وكان فائض هذه المصانع يُصدر إلى الخارج.[6]

[1] هريدي، الحرف والصناعات...، مرجع سابق، ص168.
[2] الطهطاوي، مناهج الألباب...، مصدر سابق، ص211.
[3] هريدي، الحرف والصناعات...، مرجع سابق، ص170.
[4] دوننما : هو مصطلح يطلق على الأسطول البحري، وهو مجموعة السفن الحربية لدولة من الدول. للمزيد ينظر : عامر، مرجع سابق، ص 373. ومجيب المصري، مرجع سابق، ص61.
[5] الطهطاوي، مناهج الألباب...، مصدر سابق، ص210.
[6] سراج الدين، مرجع سابق، ص62-64.

استطاعت المصانع المصرية في عهد محمد علي أن تسد حاجة الاستهلاك المحلي، وأن تحقق فائضا للتصدير.[1]

3-1 التجارة:

أما التجارة فكانت موردا ثابتا من الموارد الأساسية الذي يعتمد عليها دخل الحكومة الباشا، وقد اتجه محمد علي منذ البداية نحو تطبيق مبدأ الإحتكار وكان الإحتكار على نوعين:

أ- **إحتكار داخلي:** وهو الإحتكار الزراعي الذي سماه الجبرتي "التحجير" وبمقتضاه يقتسم الباشا مع الفلاحين جميع ما تنتجه الأرض من محاصيل زراعية، وله النصيب الأكبر في هذه القسمة.

ب-**إحتكار خارجي:** وهو الإحتكار التجاري الذي استطاع محمد علي عن طريقه أن يقبض بكلتا يديه على ناصية التجارة الخارجية، وكان من شأن ذلك كله أن أصبح الباشا يسيطر على محاصيل البلاد، ويهيمن على توزيع هذا المحصول في الداخل والخارج.[2]

حيث شهدت التجارة الخارجية تطورا نوعيا في ظل حكم محمد علي بعد التدهور الذي أصابها إبان الربع الأخير من القرن الثامن عشر نتيجة تعرض طرق التجارة لمخاطر عديدة وعدم توفر الأمن بها[3]، ولم تكن تلعب إلا دورا هامشا في الاقتصاد المصري

[1] زايد، مرجع سابق، ص17.
[2] هريدي، دراسات في التاريخ...، مرجع سابق، ص44.
[3] سراج الدين، مرجع سابق، ص66.

فأصبحت تحت حكم محمد علي هي المحرك الأول لعجلة الإقتصاد[1]، حيث استطاع الباشا على امتداد فترة حكمه التغلب على هذه الصعاب من خلال سياسة التوسع في الإنتاج الزراعي خاصة المحاصيل الجديدة التي لها أسواق خارجية مثل: القطن بجانب ما فرضه التوسع الصناعي من ضرورة استيراد الكثير من الآلات والتجهيزات، وما أدت إليه زيادة مطالب الجيش نتيجة زيادة عدد أفراده والحاجة لتموينهم بالأسلحة والمهمات الحديثة، وقد أدى هذا كله بشكل مباشر إلى تزايد حجم التبادل التجاري الذي سانده اتساع الأسواق الخارجية.[2]

شكلت صادرات مصر العديد من المنتجات الزراعية والصناعية كما يلي:

- القطن ومصنوعاته – الأرز والحبوب والصمغ – الأنسجة الكتابية– الصودا والتمر– الخضر الجافة– الأقمشة القطنية والحريرية– الطرابيش وغيرها، وكانت واردات مصر من: الأخشاب ومصنوعاتها والعقاقير والبن والفحم والسكر، والزجاج والمشروبات وغيرها.[3]

قام محمد علي بوضع سياسة تسويقية فعالة للحاصلات الزراعية خاصة القطن، يتضمن الحصول على أكبر عائد مادي لتلك المحاصيل، حيث كانت خطته تقترب كثيرا من الفكر الحديث في تسويق الحاصلات الزراعية، وهو نظام صناديق موازنة الأسعار وكانت الحكومة تقوم باستلام المحاصيل من الفلاح مقابل سعر عادل، حيث أخذ في الاعتبار تكاليف الزراعة وإيجار الأراضي وأجرة الفلاح، وتحقيق ربح معقول، يشجع الفلاح على معاودة الزراعة وبل الجهد في عمليات التطوير والتحديث، وكانت بورصة القطن التي أنشأها محمد علي بالإسكندرية هي السوق الحقيقي والمتطور لتجارة الأقطان المصرية سواء على المستوى المحلي أو الدولي.[4]

---

[1] جلال أمين، **الإقتصاد المصري في عهد محمد علي إلى عهد مبارك**، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2012م، ص12.
[2] سراج الدين، مرجع سابق، ص66.
[3] الديهي، مرجع سابق، ص131.
[4] نفسه ، ص ص125-126.

وكانت تجارة القمح أول خطوة أوحت إلى محمد علي أن يفكر في الاحتكار، وذلك أن تجارة القمح مع الإنجليز كانت أهم موارده في أوائل عهده، إذ حدث في السنوات 1809م، 1810م، 1811م قحط شديد في ممالك البحر المتوسط ما عدا مصر، فإنتهز محمد علي الفرصة وأخذ يبيع القمح المصري للإنجليز، فربح من تلك التجارة ربحا وفيرا.[1] كما اتجه محمد علي صوب تنظيم النشاط التجاري بنفسه فأصدر قانونا ينظم تحصيل الديون المستحقة على التجار، كما أنشأ أول مجلس للتجار في القاهرة سنة 1826م، ثم تلا ذلك إقامة مجالس أخرى في الإسكندرية ودمياط وذلك لفض المنازعات مع التجار، وإصدار الأحكام المتعلقة بالقضايا التجارية، كما تبنى سياسة إصلاح النظام النقدي لمنع المضاربة على أسعار العملة، وهو الأمر الذي يؤثر في عدم استقرار الأسعار، إذ كانت هناك عملات عثمانية وإنجليزية وفرنسية وكان بعضها من الذهب والبعض الآخر من الفضة، فأصبحت البلاد تسير على نظام المعدنين الذي يتم بمقتضاه تداول العملات الفضية، بجانب الذهبية.[2]

كذلك أهتم محمد علي بالثروة الحيوانية، فبعد أن كانت تربية الحيوان في مصر متأخرة وغير منتشرة، تقدمت وانتشرت وزاد عدها، حيث جلب الحيوانات من الخارج وشجع التجار على استيرادها وقام بتربية الحيوانات على حساب الحكومة بالطرق العلمية وأدخل أغنام المارينوس[3]، تلك الأغنام الأندلسية ذات الصوف الناعم[4]، فسّد بذلك حاجته المتزايدة من الحيوانات وأنشأ لها مدرسة الطب البيطري، رغبة في وقايتها وعلاجها.[5]

وبذلك إتسعت تجارة مصر الخارجية بفضل استتباب الأمن وعدالة القضاء وازدياد الحاصلات وأنشأ أساطيل النقل البحري والنهري وتأمين الطرق بفضل إصلاح ميناء الإسكندرية والسويس، وأعاد الحياة لطريق التجارة بين الهند وأوروبا بالبلاد المصرية، بعد

---

[1] هريدي، دراسات في تاريخ....، مرجع سابق، ص44.
[2] سراج الدين، مرجع سابق، ص ص 66-67.
[3] الحتة، مرجع سابق، ص28.
[4] الطهطاوي، مناهج الألباب...، مصدر سابق، ص268.
[5] الحتة، مرجع سابق، ص28.

أن بسط السيادة المصرية في البحر الأحمر وطهره من القرصان وأقام ديوانا أسماه ديوان المرور ومقره الأزبكية، وبذلك إتسعت عمليات الإستيراد والتصدير والتبادل التجاري مع الخارج وبدءا من سنة 1822م بدأت الميزانية تحقق فائض من الأموال.[1]

المطلب الثاني: الوضع الإجتماعي والعمراني:

لقد كان للسياسات الاقتصادية الجديدة التي اتبعها محمد علي أثر ملحوظ في حركة التحول والتغيير التي شهدها المجتمع المصري[2]، فقد تطورت وتكونت هيئة اجتماعية تختلف كثيرا عما كانت عليه من قبل، إذ كانت مصر في أواخر القرن الثامن عشر مقسمة إلى فئتين متكونة من[3]:

الطبقة الحاكمة : وهم المماليك الين استبدوا بالسلطة الفعلية وأقاموا في البلاد طغيانا عنصريا فصل بينهم وبين الشعب وأخضعه لمظالمهم.

أما الطبقة المحكومة : والتي تألفت من الشعب المصري الذين كانوا يبعثون شكواهم إلى رؤسائهم الدينيين ويطلبون منهم النصح والإرشاد، ويتخذون منهم وكلا لرفع المظالم عنهم، فصار للمشايخ والعلماء نفوذ ومكانة بين أفراد الشعب وصار في وسعهم توجيههم وتحريكهم[4].

تبدلت طبقات المجتمع في عصر محمد علي فبادت فئة المماليك ولم يعد لمعظمهم وجود، وآل الحكم إلى محمد علي باشا وأسرته، كان أول عمل سياسي واجتماعي أنه دمج شخصية أسرته في كيان مصر وقوميتها، ولا يخفى أن الباشا أصبح بولاية الحكم بإرادة

[1] أبو الفضل، مرجع سابق، ص116.
[2] أحمد طربين، **تاريخ المشرق العربي والمعاصر**، المطبعة الجديدة، دمشق، 1986، ص78.
[3] الرافعي، مصدر سابق، ص 543.
[4] محمد فؤاد شكري، **مصر مطلع القرن التاسع عشر 1801-1811م**، ج1، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 1958، ص253.

زعماء الشعب جزءا من الهيئة الاجتماعية والحاكمة، استمد قوته ومجده من الأمة المصرية[1].

كما كان التعليم من العوامل المؤثرة على تطور المجتمع المصري إبان القرن التاسع العشر من خلال إدخال النظم الحديثة، والذي كان أساس تعديل البناء الاجتماعي والاقتصادي والثقافي وكان عاملا هاما من عوامل التحول والتغيير[2]، فالمدارس العلمية التي فتحها محمد علي والبعثات العلمية التي أرسلها إلى أوربا قد كونت عنصرا جديدا من صميم المصريين كان له فضل كبير في تقدم المجتمع المصري، ذلك هو عنصر الشباب المتعلم الذي ثقفته العلوم والمعارف فنهض بالهيئة الاجتماعية المصرية نهضة كبرى، فالطبقة المتعلمة في المدارس والبعثات هي الطبقة الممتازة من طبقات المجتمع، والتي كان له الفضل الكبير في ترقية مستوى الهيئة الاجتماعية، وبالتالي كانت الهيئة الحاكمة في عصر محمد علي قوامها شخصية محمد علي وأسرته ورجالات حكومته وخريجي المدارس والمعاهد والبعثات العلمية.[3]

أما الطبقة المحكومة والتي تكونت من الشعب فقد طرأ عليها من التغيير في عصر محمد علي تمثلت هذه الطبقة في:

1- الأزهر والعلماء:[4]

أدرك محمد علي مكانة العلماء عندما كان يناضل بشراسة ضد المماليك، واعتمد عليهم بمهارة للوصول إلى السلطة، ومنحهم حق الحصول على دخل من الضرائب الزراعية التي كانت مخصصة للمماليك، وحل بذلك العلماء محل المماليك وأصبحوا يشكلون قاعدة للتنظيم السياسي والاقتصادي لمصر[5].

---

[1] الرافعي، مصدر سابق، ص ص 544-545.
[2] طربين، مرجع سابق، ص75.
[3] الرافعي، مصدر سابق، ص547.
[4] الرافعي مصدر سابق ، ص547.
[5] جي فارجيت، **محمد علي مؤسس مصر الحديثة**، (تر) : محمد رفعت عواد، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص185.

ومع الوقت تفطن محمد علي إلى قوة هذه الفئة و إلى خطرها على نفوذه وسلطاته على البلاد، فصمم على التخلص منها بمختلف أساليب التهديد والخديعة، حتى تمكن من ضرب بعضها بالبعض الأخر ونفي السيد عمر مكرم[1].

وما زاد من تضاؤل نفوذ العلماء أن الأزهر ظل على نظامه القديم ولم يساير حركة الإصلاح والتقدم، فانتقل مركز الثقافة من الأزهر إلى المدارس والمعاهد والبعثات، وتقلص العلماء ولم يشتركوا في حركة التجديد والإنشاء في مختلف النواحي فعجزوا عن الاشتراك في حروب مصر أو في إدارة حكومتها وسياستها وأعمال العمران، فالفئة التي تخرجت من المدارس الحربية والبحرية والعلمية والهندسية هي التي اضطلعت بأعباء الأعمال العامة سواء في خارج مصر أو في داخلها هم من حملوا لواء النهضة وقد امتازوا على طبقة العلماء وحجبوها، كل ذلك كان له أثر في تضاؤل نفوذ العلماء وإضعاف كلمتهم[2]، وبذلك ينتهي الدور السياسي التي لعبته تلك الفئة في تاريخ مصر خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.[3]

2- الأعيان:

كان الأعيان من ذوي البيوت والعصبيات القديمة حافظين لمكانتهم، غير أنهم صاروا في عهد محمد علي أكثر خضوعا للحكومة مما كانوا عليه في عهد المماليك[4].

3- الصناع والتجار والزراع:

انظم العمال إلى سلك المصانع الكبرى بالترسانة الحربية والبحرية أو الفبريقات التي أنشأها محمد علي ومارسوا صناعات جديدة مهروا فيها وتكونت منهم طبقة من العمال الفنيين كانوا موضع إعجاب من شاهد أعمالهم، وكان لهم أثر في تقدم مصر الصناعي، أما طبقة التجار فقد تراجعت وأضمحل شأنها لاحتكار الحكومة التجارة الداخلية

[1] محمد محمود السروجي، **دراسات في تاريخ مصر والسودان**، الحديث والمعاصر، دط، مكتبة الاسكندر، الإسكندرية، 1898، ص95.
[2] الرافعي، مصدر سابق، ص548.
[3] السروجي، مرجع سابق، ص95.
[4] الرافعي، مصدر سابق، ص550.

والخارجية، فرغم ازدياد متاجر مصر إلا أن عائدات التجارة كانت تعود على الحكومة وعلى الإفرنج الذين كانوا يتبادلون حركة التجارة الخارجية.[1]

أما وضعية الفلاح فلا شك أن تطور الحياة الزراعية وظهور طبقة كبار الملاك كان له تأثيره السيئ على الفلاحين، ففي أثناء القرن التاسع عشر تفتتت ملكيات الفلاحين الصغار مما أدى إلى ظهور طبقة من الفلاحين المعدمين الذين لا يملكون أرضا، وذلك راجع إلى كثرة الضرائب مما أدى إلى هجرتهم، ورغم أن محمد علي حاول حمايتهم إلا أن كبار الملاك استمروا في إرهاقهم مما أدى إلى عدم تحسن حالة الفلاح.[2]

4- العربان:

لم يألف العربان أو البدو المصريين في أوائل القرن التاسع عشر حياة التحضر، وكان في صراع مستمر مع الفلاحين القائمين على الزراعة، ففكر محمد علي في إصلاح هذه الأوضاع، فقام بعقد إتفاقيات مع زعماء القبائل المنحدرين من البدو المصريين، لكن القبائل نقضت هذه الإتفاقيات فأستخدم محمد علي أسلوب القوة ما جعلهم يطلبون الصلح، وبعدها قررت الحكومة أن تدخلهم في حظيرة العمران، وأن تصرف عنهم عبثت البداوة و أقطعتهم أراضي شاسعة أعفتها من الضرائب لينتفعوا بها، كما انضموا إلى سلك الجيش النظامي الذي أسسه محمد علي، وكان إدماج القبائل البدوية في الهيئة الاجتماعية من أهم أعمال العمران التي قام بها محمد علي.[3]

5- بقايا الرقيق:

كانت تجارة الرقيق لا تزال مباحة في ذلك العصر، ومع مرور الوقت وتزامنا مع حكم محمد علي أندمجوا كلهم في الهيئة الاجتماعية المصرية، وصاروا من عناصر تكوينها لا يختلفون في شيء عن عناصرها الأصلية.[4]

---

[1] نفسه، ص551.
[2] العطار، مرجع سابق، ص212.
[3] الرافعي، مصدر سابق، ص551.
[4] نفسه، ص552.

أما من ناحية النمو السكاني فإن الناظر إلى التطور الديمغرافي في عصر محمد علي يدرك أن هناك مرحلتين متميزتين لهذا التطور، إحداهما في الفترة من عام 1821/1805م، والثانية من عام 1848/1821م.

ففي الفترة الأولى تراوح حجم سكان مصر حول 5 و2 مليون نسمة وتمثل هذه المرحلة في الواقع امتداد لمصر ما قبل محمد علي أي مرحلة الجمود والتوقف في نمو السكان، مما يعني أن معدلات المواليد كانت تقترب من معدلات الوفيات، وهذا ما يسمى في مراحل النمو السكاني بالمرحلة البدائية، والتي يصل فيها معدل النمو السنوي إلى قرابة الصفر.[1]

أما المرحلة الثانية فبدأت فيها إرهاصات النمو السكاني المتزايد واستمرت قرابة ربع قرن، واصل فيها منحنى السكان تزايده ليصل إلى 5 و 4 مليون نسمة في نهايتها، مما يعني تضاعف حجم السكان انعكاسا مباشرا للتحسن النسبي في الأوضاع الاقتصادية نتيجة للثورة الاقتصادية بشكل عام والزراعة على وجه الخصوص، إثر تحول جزء من أراضي الدلتا إلى الري الدائم، وهو ما أسهم في زيادة المساحة المحصولية، بالإضافة إلى الاهتمام بالصحة العامة والتحكم في العديد من الأمراض والأوبئة الفتاكة، ما أسفر عن خفض عدد الوفيات بدرجة كبيرة في الوقت الذي تزايد فيه معدل المواليد.[2]

ولا شك أن هذا النمو في عدد السكان مصر في عهد محمد علي، يرجع إلى ما حظيت به مصر من نقلة في الرعاية الصحية للسكان، معنى ذلك أن الإجراءات الصحية وسريان المفاهيم الوقائية، كان من أهم العوامل التي ساعدت على إعطاء دفعة من معدلات النمو السكاني.[3]

---

[1] سراج الدين، مرجع سابق، ص 105.

[2] نفسه، ص106.

[3] عبد العزيزسليمان نوار، **تاريخ مصر الاجتماعي**، دط، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ص 283-284.

كما قام أيضا بفتح باب الهجرة إلى مصر بهدف زيادة الكثافة السكانية التي تساعد على بناء دولة قوية على أسس حديثة ويحميها جيش عصري، وعلى الرغم من وضعه لبعض الضوابط بإعطاء الأولوية للمصريين في مختلف قطاعات العمل والإنتاج، فإنه ألغى أشكال التمييز ما بين المصريين وغي المصريين.[1]

إذ بدأ الأجانب يتوافدون إلى مصر، وذلك للعمل في دوائر الحكومة أو التطلع إلى مشروعات اقتصادية ومالية، وكانت مصر تخطو خطواتها الأولى نحو الاتصال بالغرب وبالحضارة الغربية مع بداية عهد محمد علي، فكان من نتائج جمع السلطة في يده وإشرافه الدقيق على شؤون الإدارة والحكومة، أن استتب الأمن في أنحاء القطر المصري، هذا ما شجع كثيرا الأجانب على الوفود إلى مصر للتجارة وتوظيف رؤوس أموالهم فيها، والتدريس بالمدارس والعمل بالصنائع والجيش والبحرية والزراعة والري، وما أدخل الاطمئنان على نفوسهم واعرف من الوالي من تسامح مع من يختلفون عنه جنسا ولغة وعقيدة.[2]

وأطلق الحرية لجميع الطوائف وخاصة بالنسبة لليهود في ممارسة شعائرهم الدينية بحرية، وأنشأ الكنائس والمعابد والمدارس، والنوادي الاجتماعية الخاصة بهم، وساوى بين السكان في الحقوق والواجبات، وهو تدبير لم يكن معمولا به بدقة في بعض أنحاء السلطنة وبعض الدول الأوربية نفسها.[3]

وليس هناك من شك أن مصر في عد محمد علي قد أفادت فائدة كبيرة من مجيء الأجانب واستخدامهم في شتى الطوائف، وإسناد مختلف الأعمال إليهم، وذلك من خلال فتح أبواب البلاد على مصراعيها، ومن خلال الصلات الوثيقة مع الغرب للنهوض بالبلاد

---

[1] مسعود ظاهر، **النهضة العربية والنهضة اليابانية**، دط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978، ص90.

[2] محمود محمد سليمان، **الأجانب في مصر دراسة في تاريخ مصر الاجتماعي**، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الإسكندرية، 1996، ص ص55-56.

[3] ظاهر، مرجع سابق، ص90.

ومسايرة الأمم الحديثة، ولذلك عمل محمد علي على زيادة هجرة الأجانب بصورة واضحة ليقوموا بتدريب المصريين وترقيتهم إلى أوج الحضارة المدنية.[1]

ومن جهة أخرى ساهمت المرأة أيضا في إحداث تغيرات في المجتمع خلال القرن التاسع عشر، إذ شعرت المرأة المصرية بانفتاح بلدها على العالم الغربي بالرغم من التقاليد، حيث وجدت نفسها مضطرة إلى التأقلم مع تلك التقاليد الغربية حسب رغبتها وأحيانا للضرورة، فكانت نساء الطبقة العليا في المجتمع على صلة وثيقة بالغرب عن طريق ترددهم الدائم لأوساط السفارات والأعمال، أما عن المرأة في الريف، فإن العامل الرئيسي في التغيير يكمن في حصول المرأة عل حق التملك(حق الميراث)، وبدأت النساء في تكوين اتحادات على غرار الرجل للدفاع عن مصالحهم، وبالتدرج بدأت الأفكار تفرض نفسها، كما بدأ بعض النساء في القاهرة تمارس أنشطة مغايرة لبعض الصناعات اليدوية والتجارة الصغيرة ومساعدة السر في المنازل وعلى الصعيد السياسي فقد ظهرت النساء في المناسبات الكبرى، فقد أبدين نشاطا ملحوظا أيام حكم محمد علي من خلال المظاهرات والثورات، ومع ذلك فقد ظلت المرأة خاضعة للقانون الإسلامي والعادات والتقاليد.[2]

كما لا يمكن إغفال الجانب العمراني الذي أولاه الباشا جانب من إهتمامه، فقد إهتم بعمران المدن، فأقام المباني العامة من دواوين وقصور ومصانع[3]، وقام بتجميل القاهرة والإسكندرية بعدد كبير من المباني المشيدة على الطراز العثماني.[4]

فقد شهدت القاهرة تغيرات ونهوض في المجال العمراني يشمل مواقع عدة تمثلت في القلعة التي رأى محمد علي أنها يجب أن تكون ثكنة عسكرية، فأعاد تحصينها من الجهة

[1] محمد سليمان، مرجع سابق، ص67.
[2] فارجيت، مصدر سابق، ص ص 187-189.
[3] أبو الفضل، مرجع سابق، ص115.
[4] كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**،(تر) : نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط5، دار العلم للملاين، لبنان، 1968،ص545.

الشرقية، وأزال أغلب المنشآت المماليك الموجودة بها[1]، وأنشأ بالقلعة قصره الشهير "قصر الجوهرة" والذي كان مقر الحكم[2]، ويحتوي على تحف تمثل أصل الأسرة العلوية بجانب العديد من الثار الإسلامية المحفوظة، إضافة إلى ذلك فقد بني قصور "الحرملك[3]" والتي تشغل الضلع البحري الغربي للقلعة والتي عرفت بقصور "الحرملك الثلاث" والمتمثلة في:

القصر الشرقي: وهو أكبر هذه القصور خصص للأطفال الأيتام من الطبقة الراقية أو العناصر المملوكية لتدريبهم وتنشئتهم لإعدادهم ضباطا بالجيش المصري الحديث، والقصر الأوسط الذي يتميز بأسلوب فني مميز ومزخرف إضافة إلى القصر الغربي.[4]

كذلك قصر محمد علي "بشبرا" والذي بني على مراحل استمرت ثلاثة عشر عاما بدءا من عام 1808حتى 1821[5]وهو من تصميم "سينور دروفيتي" القنصل العام الفرنسي[6].

قصر رأس التنين بالإسكندرية: وهو القصر الذي شهد أسرة محمد علي في أزهى قوتها، وقد أمر محمد علي ببنائه سنة 1834م، واستمر العمل به أحد عشر عاما، وافتتح رسميا سنة 1847م، مصمما على الطراز الأوربي.[7]

كما اهتم الباشا بالمنشآت المعمارية الدينية[8]، فشيد مسجد على الطراز العثماني عُرف بمسجد"مرمره"، وقد شرع في بنائه سنة 1830م، وتم بناءه سنة 1848م[9] على يد أحد

---

[1] سراج الدين، مرجع سابق، ص103.
[2] أبو الفضل، مرجع سابق، ص115.
[3] الحرملك : أطلقت إصطلاحا على القسم المعد للحريم في القصر السلطاني، أو البيت في العد العثماني. ينظر: حلاق، مرجع سابق، ص74.
[4] محمود عباس أحمد عبد الرحمان، **معالم مصر الحديثة والمعاصرة**، ط1، الدار العالمية للنشر والتوزيع، 2002، ص ص 14-20.
[5] أحمد عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 20.
[6] كمال الدين سامح، **لمحات في تاريخ العمارة المصرية**، دط، هيئة الآثار المصرية، القاهرة، 1986، ص 73.
[7] عبد الرحمن، مرجع سابق، ص25.
[8] نفسه، ص68.
[9] علياء عكاشة، **العمارة الإسلامية في مصر**، دط، بردي للنشر، مصر،2008، ص58.

المهندسين الأتراك والمدعى "يوسف بوشناق"، الذي وضع له تصميما مستوحى من مسجد السلطان أحمد بالأستانة[1].

وكان اهتمام محمد علي بالعمارة والفنون سببا في إنشائه لمدرسة العمليات بالقلعة سنة 1830م، وقد ألحق بها أقساما مهنية انفصلت فيما بعد لتتبع مدرسته الفنون والصنائع، ثم استقلت وعرفت باسم مدرسة الفنون والزخارف المصرية.

ولم تقتصر النهضة العمرانية على القصور بل امتدت أيضا إلى المباني الإدارية، حيث شيد مبنى الدفترخانة (دار المحفوظات)[2]بجوار القلعة ليحفظ فيها وثائق الحكومة وسجلاتها بعد أن كانت تتبدد[3].

وأنشأ دار للرصد (رصدخانة) في بولاق، وأسس دار للآثار لمنع خروج الأثار القديمة من مصر بعد أن كانت تنهب وتسرق[4].

كما أدرك محمد علي أهمية الإسكندرية في أن تصبح ميناء بحريا حديثا، فشرع في الاهتمام بالمدينة والميناء، وشق لها ترعة المحمودية التي تمدها بالمياه، ولقد أسهمت هذه الترعة في إنعاش المدينة بشكل كبير[5]، كما أنشأ الترسانة و أنشأ الحوض الحديدي وأوصله بالميناء الجديد[6].

وقد أدت هذه النهضة والنمو الحضري إلى اهتمام الباشا بتخطيط المدن، فامتدت المدن القديمة واتسعت وتزايد عدد سكانها، ولقد أصبح عدد سكان القاهرة 250ألف نسمة، ومع بناء الميناء الغربي بالإسكندرية التي أصبحت العاصمة البحرية للبلاد، زاد عدد سكانها

[1] عبد الرحمن، مرجع سابق، ص69.
[2] سراج الدين، مرجع سابق، ص105.
[3] أبو الفضل، مرجع سابق، ص115.
[4] أبو الفضل، مرجع سابق، ص115.
[5] سراج الدين، مرجع سابق، ص105.
[6] سامح، مرجع سابق، ص76.

إلى 60 ألف نسمة عام 1855م، إلى 100ألف نسمة، وقد أدى التوسع العمراني وإعادة تنظيم المدن إلى تأسيس مدن جديدة مثل:الزقازيق[1].

خلاصة:

نجح محمد علي في النهوض بالاقتصاد المصري معتمدا على أساليب جديدة في تحويل الإقتصاد من الكفاية إلى التصدير، ما أدى إلى اتساع نطاق تجارة مصر الخارجية بتطبيق نظام الإحتكار.

أما الجانب الاجتماعي فقد تغير بتغير الجانب الاقتصادي بفعل سياسة محمد علي الاقتصادية، ما أثر على تنظيم البناء الاجتماعي وتشكل المجتمع المصري من خلال القضاء على نفوذ المماليك كطبقة حاكمة وحل محلها أسرة محمد علي، وتضاؤل نفوذ علماء الأزهر والزعامة الشعبية وانتقال مركز القيادة لخريجي المدارس الجديدة وأعضاء البعثات.

[1] سراج الدين، مرجع سابق، ص105.

المبحث الرابع: النظريات والتحديثات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في فكر رفاعة رافع الطهطاوي من خلال كتاب مناهج الألباب المصرية

- المطلب الأول:النظرية السياسية والاجتماعية.
- المطلب الثاني: النظرية الاقتصادية.

بعد عودة رفاعة الطهطاوي من فرنسا عام 1831م، طرح مشروعاً إصلاحياً شمل بعض أوجه الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وهذا من خلال ما شاهده في أوربا من تفوق حضاري وفكري، وجاءت دعوته مرتكزة على ضرورة الأخذ بالتجربة الأوربية فتجلت هذه الدعوة في فكره وفي كتاباته، ولعل أبرزهم كتاب " مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية"، الذي يضم عرضاً واضحاً لأرائه وسنحاول من خلاله تتبع أهم الأفكار التي عالجها في كتابه.

المطلب الأول: النظرية السياسية والاجتماعية:

قبل التحدث عن الفكر السياسي عند الطهطاوي ينبغي الإشارة إلى أن رفاعة الطهطاوي يعتبر أول شرقي عربي انتقل عام 1826م، من بلد شديد التخلف (مصر)، إلى بلد يمثل الحضارة الغربية (فرنسا) بقصد الدراسة والتعلم.[1]

ولقد كانت لهذه التجربة الباريسية الأثر الأكبر في فكر رفاعة على الرغم من قصر هذه التجربة، غير أنها جعلت منه إنساناً آخر، ذاك الإنسان المتفتح على علوم العصر ومعارفه ومبادئه، كما جعلت منه مفكراً تنويرياً حديثا في نظرته وأفكاره، عميقا في شخصيته للمسائل الفكرية والاجتماعية والسياسية.[2]

كان الهاجس الأهلي لدى رفاعة هو تحقيق المنافع للوطن ولأهله، وقد اعتبر أن ذلك يستوجب التفاعل الإيجابي مع منجزات الغرب[3]، لذلك وجد رفاعة في الفكر الغربي ثروة هامة أحس بحاجة أمته إلى نقلها للفكر الإسلامي والثقافة العربية رغبة في القضاء على

---

[1] شحادة الخوري، **رفاعة رافع الطهطاوي أحد بناة النهضة العربية الحديثة**، مجلة التراث العربي، ع (81-82)، 2001م، ص26.

[2] عامر مرفت مأمون، **رفاعة الطهطاوي مفكر القرن التاسع عشر في مصر**، مجلة المعرفة، ع (393)، 1996، ص176.

[3] زهير الذوادي، **نهج رفاعة الطهطاوي المشروع الحضاري المناقض للإستبداد**، مجلة الموروث، ع (4)، 2014، ص156,

مرحلة الضعف والجمود والتخلف، الذي إنتشر في مصر بعد إنسحاب الحملة الفرنسية[1]، لذلك احتل الوطن والوطنية مكانة متميزة في فكر الطهطاوي[2]، حيث ورد مصطلح الوطن كثيرا في "مناهج الألباب"[3]، تكلم من خلاله عن حب الوطن ووجوب الاهتمام بالمنافع العمومية التي تعود بالغنى وتحسين الحال على عموم الجمعية ، وأشاد بموقع مصر وخصبها، وتوافر أسباب التمدن لها وأورد كثيرا من الأقوال المأثورة في (حب الوطن) من حديث شريف أو حكم مشهورة وبيّن أن الوطن جامعة تجمع ساكنيه على اختلاف الأديان حيث يقول: " فجميع ما يجب على المسلم للمسلم يجب على أعضاء الوطن من حقوق بعضهم على بعض لما بينهم من الأخوة الوطنية فضلا عن الأخوة الدينية[4].

ولقد كان يرى في مصر المحور الأساسي في بعث الحضارة والتمدن ونشر الروح الإنسانية والوطنية بالنسبة للمحيط العربي والإفريقي[5]، حيث قام بصياغة مصطلح الوطن وكان هذا بمثابة علامة على تجاوز المفهوم الإسلامي التقليدي للأمة وهو المفهوم الذي كان شائعا ولا يزال في مصر وغيرها من البلاد الإسلامية ، حيث بدأ هذا المفهوم يفد إلى مصر في إطار التأثر بالفكر الغربي ، وعندما استخدم الطهطاوي مصطلح الوطن فإنه كان يتخذ طابع عاطفيا وعبّر مفهوم الوطنية عن الإنتماء لوطن محدد ، وبذلك صاغ الطهطاوي لأول مرة في الثقافة العربية المفهوم الذي شكل حجر الزاوية في بناء الفكرة القومية، فبهذا كان الطهطاوي أول مفكر عربي يصوغ مصطلح الوطن ويستخلصه من إطار الموروث الثقافي لمفهوم الأمة الإسلامية ليضع بذلك بذرة الوعي القومي[6].

---

[1] حمد بن صادق الجمال، **اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر**، ج1، ط1، عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، 1994م، ص44,

[2] يسمينة زمولي، **الفكر التنويري العربي في القرن التاسع عشر**، مجلة العلوم الإنسانية ، ع (41)، 2014، ص 44 .

[3] رءوف عباس، **التنوير بين مصر واليابان**، ط1، عين مريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ص59 .

[4] حسين، مرجع سابق، ص 20 .

[5] زمولي، مرجع سابق، ص44 .

[6] عباس، مرجع سابق، ص ص 59-60 .

لم يكن رفاعة رجلاً سياسياً، لكنه كان شديد الإهتمام بالشأن السياسي، ومتابعاً له تحت حكم كل من محمد علي، وإبراهيم باشا، وعباس الأول، وسعيد وإسماعيل وتوفيق، وهو لم يتحمل مسؤولية سياسية هامة، ولكنه طور مفاهيم ومواقف فكرية هادفة إلى إصلاح الشأن السياسي، وتوجيهه وجهة نهضوية وإصلاحية، معتبراً الإصلاح عملية مزدوجة الأصل، تنجز من فوق الدولة ومن تحت المجتمع دون تنافر بين المصدرين[1].

فما هي القسمات الرئيسية في الفكر السياسي الذي بشر به الطهطاوي قومه؟[2]

يتحدث الطهطاوي عن أهمية الفكر السياسي وضرورته في بناء المجمعات[3]، ويطرح من خلال كتابه "مناهج الألباب" تعريفاً للسياسة، حيث عرفها باصطلاحها الأوربي "البوليتيقة"[4] أي: فن الإدارة وعلم تدبير المملكة والبحث في هذا العلم ودوران الألسن فيه، والتحدث به والمنادمة عليه في المجالس، وكل ذلك يسمى بوليتيقة أي سياسة، وهي كل ما يتعلق بالدولة وأحكامها وروابطها[5].

ويحدد الطهطاوي أن السياسة "البوليتيقة" التي يريد للناس أن يتعلموها ويمارسوها ليست السياسة بمعناها الرجعي معنى الحيلة، والخداع، والتآمر التي لا تليق إلا بالمملكة الجائرة، وإنما السياسة التي يريدها هي التي عليها "مدار انتظام العالم"، وهي التي يكون الهدف منها (فهم أسرار المنافع العمومية التي تعود على الجمعية–المجتمع–) وعلى سائر الرعية من حسن الإدارة والسياسة[6].

---

[1] الذوادي، مرجع سابق، ص ص 155-156.
[2] عمارة، رافع الطهطاوي...، مرجع سابق، ص 243.
[3] نفسه، ص243.
[4] شكري نجار، **الفكر السياسي عند الطهطاوي**، مجلة الفكر العربي، ع (31)، 1983، ص460.
[5] الطهطاوي، مناهج الألباب المصرية...، مصدر سابق، ص298.
[6] عمارة، رافع الطهطاوي...، مرجع سابق، ص ص 243-244.

وتقوم الدولة في رأيه على قوتين عظيمتين:

1- **القوة الحاكمة (ولاة الأمور):** وهي القوة الجالبة للمصالح الدارئة للمفاسد، وهم قوام الدين والدنيا، وعليهم في حركة الأعمال مدار البركة العليا، وبدونهم يختل نظام العالم لوجود المفسدين، فلولا هذه القوة لما تمكن العالم من نشر علمه ولا الصانع على صناعته ولولاهم لانقطعت السبل، وتغالب الناس وطمع بعضهم في بعض واستولى الأقوياء على الضعفاء[1].

2-**القوة المحكومة:** وهي القوة الأهلية المحرزة لكمال الحرية الممتعة بالمنافع العمومية.

والقوى الحاكمة والتي تسمى أيضاً بالحكومة وبالملكية، والتي أعتبرها أمر مركزي ينبعث منها ثلاث أشعة قوة، يطلق عليها أركان الحكومة وقواها وهي:

أولا: قوة تقنين القوانين وتنظيمها، وترجيح ما يجري العمل به أحكام الشريعة، والسياسات الشرعية.

ثانيا: قوة القضاء وفصل الحكم.

ثالثا: قوة التنفيذ للأحكام بعد حكم القضاة بها.

وعند الطهطاوي هذه القوى الثلاث ترجع إلى قوة واحدة وهي القوة المملوكية المشروطة بالقوانين[2]، أي المقيدة بالدستور وبالقانون كما هي طبيعة النظام الديمقراطي الحديث[3]، ومن الواضح أن الطهطاوي يجري هذا التقسيم الثلاثي على مبدأ مونتسكيو المشهور في الفصل بين السلطات[4].

[1] الطهطاوي، مناهج الألباب...، مصدر سابق، ص297 .
[2] نفسه، ص 297-298 .
[3] عمارة، رفاعة الطهطاوي، مرجع سابق،ص 247 .
[4] حسين، مرجع سابق، ص 27 .

كما يرى أن الحكومة ضرورية للمجتمع لا حياة له بدونها[1]، فالملك كالروح والرعية كالجسد، ولا قوام للجسد إلا بروحه[2]، فهو يرسم تصوره لركني الدولة، وضرورة وجود "القوى الحاكمة" ضماناً للإستقرار ولإنتظام العلاقات بين أفراد القوة المحكومة، وإذا كانت القوة الحاكمة "جالية للمصالح دارئة للمفاسد"، فإن القوة المحكومة هي "القوة الأهلية المحرزة لكمال الحرية الممتعة بالمنافع العمومية"، فيما يحتاج إليه الإنسان في معاشه ووجوده وتحصيل سعادته، فهو هنا يعتبر الحكومة والناس طرفين يقوم عليهما المجتمع، بكل وظائفه ومجالاته[3].

كما يرى أن الحكومة التي عبرنا عنها في سبق بالقوة الحاكمة تقتضي حاكما ومحكوما يعني: ملكاً ورعية، فلا يُفهم الملك إلا برعيته ولا تُفهم الرعية إلا بالملك[4].

ويذهب الطهطاوي إلى أن العلاقة بين الحاكم والرعية تقوم على الحقوق والواجبات فمن واجب الحاكم حفظ حقوق الرعايا بالتسوية في الأحكام والحرية، وصيانة النفس والمال والعرض على موجب أحكام شرعية وأصول مضبوطة، فالملك يتقلد الحكومة لسياسة رعاياه على موجب القوانين[5]، وأن يحسن تربية رعيته على اختلافهم ويهذب أخلاقهم بالآداب الحسنة، فعلى ولي الأمر أن يجتهد حتى يرضى عنه جميع رعيته، وأن يُنزل نفسه منزلتهم، وكل ما يحبه لنفسه يحبه لهم، أما الرعية فعليهم حق طاعة الحاكم[6].

كما ذكر الطهطاوي نوع آخر من الحقوق التي للشعب سماها "الحقوق المدنية"، ويعني بها حقوق أهلي المملكة الواحدة بعضهم عل بعض، وتسمى بالحقوق الخصوصية الشخصية أي هي حقوق أهل العمران بعضهم على بعض لحفظ أملاكهم ومنافعهم

[1] عباس، مرجع سابق، ص55 .
[2] الطهطاوي، مناهج الألباب...،مصدر سابق، ص297 .
[3] عباس، مرجع سابق، ص55 .
[4] الطهطاوي، مناهج الألباب...، مصدر سابق، ص 300 .
[5] عباس، مرجع سابق، ص 56 .
[6] الطهطاوي، مناهج الالباب...مصدر سابق، ص 305 .

ونفوسهم وأعراضهم ومالهم، كما يتفرع من الحقوق المدنية فرع آخر من الحقوق تسمى بحقوق الدوائر البلدية، يعني حقوق النواحي والمشيخة البلدية، وهذه الحقوق تتعلق بالإمتيازات الخصوصية لكل ناحية[1].

كما ركز رفاعة على أهمية "العدل" معتبراً إياه من أول واجبات ولاة الأمور، ويذهب الطهطاوي في تعريف العدل في "مناهج الألباب" وهو وضع الأشياء في مواضعها، وإعطاء كل ذي حق حقه والمساواة في الإنصاف بميزان القوانين"، ويشير إلى قول أحدهم: "ليس في الدنيا، جمعية منتظمة ولا مملكة معتدلة الأحكام إلا وتكون القوة فيها بالأصول العدلية"، فالأصول العادلة تصون الدولة عن الملامة فهو يؤكد على أن العدل هو أساس المجتمع وأساس الحكم[2].

ومن جهة أخرى فقد أولى رفاعة أهمية خاصة على "طبقة العلماء ورجال الدين"، ودور هذه الطبقة في الدولة، فقد أثنى عليهم من خلال قوله:"أن على الدولة أن تحترم العلماء وتكرمهم، وأن تتحرى إدخال السرور عليهم، واستمالة قلوبهم، والتعطف عليهم، وأن تتقرب عليهم بالصلات، وأن تحملهم على الإشتغال بالعلم، فمثل هؤلاء لا ينبغي الإتحاد بهم لاستفادة الخير منهم، فمن كان جليسه صاحب عالم أو صلاح استفاد منه كثيرا، لأن قلما يخلو مجلسه عن مسألة وعظ أو أن نصح ".

فقد اعتبر رفاعة مجالسة الصالحين لها فائدة عائدة بالخير العميم على مجالسهم، لما ينتج عنهم من علوم شريفة ينفع بها ويحتاج إليها في الدولة والوطن[3].

[1] الطهطاوي، مناهج الالباب، مصدر سابق، ص 306 .
[2] نفسه، ص ص 301-303 .
[3] نفسه، ص ص 313-314 .

أما فيما يخص الفكر الاجتماعي عند الطهطاوي، فقد استخدم مصطلح التمدن في حديثه عن التطور الاجتماعي[1]، وهو الحديث الذي يطالعه في كثير من أثاره الفكرية وخاصة "مناهج الألباب"[2].

ويشير رفاعة إلى أن لبلوغ درجة كمال التمدين والعمران يجب أن تتوفر واسطتان مقومتان هما:

الواسطة الأولى: "تهذيب الأخلاق بالآداب الدينية والفضائل الإنسانية"، والتي هي سلوك الإنسان في نفسه مع غيره مادة تحفظية تصونه على الأدناس، وتطهره من الأرجاس، لأن الدين يصرف النفوس عن شهواتها ويعطف القلوب عن إرادتها، ومعنى ذلك أن الدين أقوى قاعدة في صلاح الدنيا واستقامتها.

أما الواسطة الثانية: هي المنافع العمومية التي تعود بالثروة والغنى وتحسين الحال وتنعيم البال على عموم الجمعية[3].

ويفهم من خلال ذلك أن للتمدن أصلين معنوي ومادي[4]، وأن أي نهضة لأي مجتمع لن تشق طريقها طالما أن هذين العنصرين لم يتحققا، معنى ذلك أن التمدن المادي يستلزم التمدن المعنوي[5].

وهذا التطور وفق ما يراه يقوم على دافعين أساسين هما[6]:

تمدن معنوي: وهو التمدن في الأخلاق والعوائد والآداب يعني التمدن في الدين والشريعة، ويقصد بها قوام الملة المتدينة التي تسمى بإسم دينها وجنسها لتتميز عن غيرها.

---

[1] مأمون، مرجع سابق، ص177 .
[2] عمارة، رفاعة الطهطاوي، مرجع سابق، ص263 .
[3] الطهطاوي، مناهج الألباب...، مصدر سابق، ص ص 11-12 .
[4] نفسه، ص14 .
[5] مأمون، مرجع سابق، ص177 .
[6] نفسه، ص177 .

تمدن مادي: وهو التقدم في المنافع العمومية، كالزراعة والتجارة والصناعة، وتختلف قوتها وضعفها باختلاف البلاد، ومداره على ممارسة العمل، وصناعة اليد[1]، كما أن هذا النوع من التمدن يتناول المنافع العمومية التي تعود بالثروة والغنى وتحسين الحال على الجمعية، وتبعدها عن الحالة الأولية الطبيعية[2].

وما يمكن ملاحظته عن الطهطاوي هو ذلك الربط المحكم فيما بين جناحي الحضارة، وهما التمدن المادي والتمدن المعنوي، فالمجتمع كائن عضوي مثله مثل الإنسان أيضاً تبقى مدنيته عرجاء وناقصة إذا ما انحصر تطوره في الجانب المادي وحسب، فالتمدن المادي ينبغي أن يلازمه تمدن أخلاقي[3].

والتمدن أو المدنية الحديثة في نظر الطهطاوي ليست هي الطريقة المثلى للتخلص من مجموعة التقاليد والأعراف والأزياء، بل ينظر للتمدن على أنه تبدل حضاري نحو الأفضل، لا على أنه نكران للذات والتنكر لها، فليس مطلوبا على المجتمع المصري أن يتخلى على مبادئه إذا ما رغب في التقدم أي أن يخلع أزيائه ويتناسى قيمه وتقاليده، فالمطلوب شيء يختلف تماماً، فمع التمسك بهذه القيم والتقاليد بشرط أن لا تكون عائقا أمام التمدن، وعلى المصريين أن يطوروا مفاهيمهم حول العلم والحياة والمجتمع والدولة، هذا هو الأساس الذي ينبغي أن يطلقوا منه، وكل ما عدا ذلك من ازدراء للأزياء وتنكر للتقاليد والأعراف لا علاقة له في نظر الطهطاوي بمسيرة التقدم[4]، حيث يقول: وربما توهم البعض أن التزيي بزي البلاد الأجنبية المشهورة بالتمدن هو من المروءة الكاملة، والسيرة الفاضلة[5].

[1] الطهطاوي، مناهج الألباب...، مصدرسابق، ص 13 .
[2] مأمون، مرجع سابق، ص 177 .
[3] نفسه، ص 177 .
[4] نفسه، ص 178 .
[5] الطهطاوي، مناهج الألباب...، مرجع سابق، ص 23 .

فالتمدن ليس في زينة الملابس بعرف مجهول متخيل استحسانه، فحاجة الوطن إلى المنفعة الحقيقة أشد من حاجته إلى تقليد العرف، الذي هو منفعة ظاهرية[1].

وهو هنا يميز بين منفعة حقيقية وأخرى ظاهرية، فالأولى تتمثل في الأخذ عن الآخرين علومهم ومعارفهم وثقافتهم الأمر الذي يؤدي إلى إزدهار ثقافي حضاري واجتماعي، والثانية ظاهرية تتجسد في التقليد الأحمق لأزياء المجتمعات الأخرى وأعرافه، وهي لا تقدم ولا تؤخر في تقدم المجتمع المصري وتمدنه[2].

ويرى رفاعة أن علاقة "التمدن" بالفكر السياسي علاقة وثيقة، ذلك أن من أسباب التمدن في الدنيا: التمسك بالشرع (القانون)، وأيضاً حرية الفكر والبحث العلمي، وحرية إبداء الرأي بالنشر والتمثيل، دون إلحاق الضرر بالآخرين، فعلاقة "التمدن" بالفكر السياسي إذاً علاقة وثيقة، لأنه ثمرة من ثمرات الحرية في كثير من جوانبه وكثير من جوانبها، وذلك إلى جانب ممارسة العلوم والمعارف وتقدير الفلاحة والتجارة والصناعة، واستكشاف البلاد التي تعين على ذلك، واختراع الآلات والأدوات، من كل ما يُسهل ويُقرب الطرق التمدنية بإيجاد الوسائط والوسائل، وهي كلها أسباب وثيقة الصلة بالحرية التي هي ركن هام من أركان السياسة والفكر السياسي، بل إن عبارة الطهطاوي تقول: "إن التمدن...مبناه على العدل والحرية السياسية"[3].

كما يشير الطهطاوي في حديثه عن فوائد التمدن، إلى أن العلاقة بين انتشاره وتقدمه وبين تخلص البشرية من كثير من الآلام التي تعاني منها.[4]

ورغم أن في حديثه هذا على ضوء واقعنا الراهن، الكثير من "المثالية"، إلا أنه دليل على ثقة مفكرنا الكبير في الإنسان، والآمال الكبار التي علقها على تقدمه في هذا الميدان،

---

[1] الطهطاوي، مناهج الألباب...، مصدر سابق، ص 24 .
[2] مأمون، مرجع سابق، ص 178 .
[3] عمارة، رفاعة الطهاوي...، مرجع سابق، ص 264 .
[4] نفسه، ص264 .

فعنده أن "فوائد التمدن كثيرة وعليها مدار جميع العلوم المعاشية"، ولذلك قال بعضهم: كلما اتسع نطاق تمدن ممالك الدنيا خفت الحروب، وقلت العداوة وتلطفت الفتوحات وندرت التقلبات والتغلبات، حتى لا تنقطع بالكلية، وينمحي الاستعباد والاسترقاق بغير حق ويزول الفقر والمسكنة[1].

ويكشف الطهطاوي عن مستوى النضج الذي وصل إليه في تكوين المعرفة بمفهوم التمدن وتقييمه، إلى أصلين مادي ومعنوي ويُفهم من هذا التقسيم أن الطهطاوي كان بصدد تحرير هذا المفهوم وذلك بالإشارة إلى ثلاثة أمور متلازمة:

أولا: ضرورة عدم الخلط بين الأصل المعنوي والأصل المادي في النظر لمفهوم التمدن، ورفع اللبس الناشئ من جراء ذلك.

ثانيا: التمايز بين المجالين لتحديد ما يقتبس من الغير وما لا يقتبس فيما يتصل بالأصل المعنوي لا يمكن أن يقتبس من الغير لصلته بالدين والشريعة، وما يتصل بالأصل المادي يمكن أن يقتبس من الغير لصلته بالمنافع العمومية.

ثالثا: أن لا خشية على الأصل المعنوي للأمة من اقتباس الأصل المادي للتمدن من الغير[2].

والغاية من تفكيك هذا المفهوم، أن الطهطاوي وجد ضرورة الاقتباس من التمدن الذي وصلت إليه أوربا في ميادين العلوم والصناعات، وبوصفه شيخا أزهريا ينتمي إلى المؤسسة الدينية كان على دراية بما يتعرض هذا الموقف من حساسيات وإشكاليات حاول تبديدها، ورفع ما يحيط بها من هواجس ومخاوف نفسية وذهنية[3].

[1] عمارة، رفاعة الطهطاوي...، ملرجع سابق، ص 264 .
[2] زكي الميلاد، الاسلام والمدنية، مجلة ثقافتنا، ع20، 2010م، ص 96 .
[3] نفسه، ص 96 .

ومن الواضح أن الذي قاد رفاعة إلى هذا الموقف هي الفرصة التي أتيحت له من الإطلاع عن قرب على المدنية الأوربية، وفي أحد أكثر نماذجها إزدهاراً وهي فرنسا، حيث أمضى فيها خمس سنوات (1826-1831م)، والتي رجع منها بمعرفة واسعة وراسخة كشف عنها في كتابه الشهير "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، الصادر سنة 1834م[1].

المطلب الثاني: النظرية الاقتصادية:

كانت المسألة الاقتصادية دائمة الحضور في فكر الطهطاوي مهما كان الموضوع الذي درسه[2] ، كما أدرك رفاعة أن المدنية تستند إلى أساس اقتصادي مادي لابد منه قوامه الصناعة والزراعة والتجارة[3]، حيث أمن بضرورة التغيير والتطوير في المضمار الاقتصادي، كما نوّه إلى أن التطور الاقتصادي يستلزم التطور السياسي فمتى تقدمت المنافع العمومية، استلزم ذلك تقدم المنافع السياسية، أي أن البنية الاقتصادية هي أساس البنية السياسية[4]

اهتم رفاعة بالاقتصاد والعمل والإنتاج مؤكدا أن دول العالم تتفاوت في التقدم والرفاهية بمقدار العمل والإنتاج فيها، وحسن استخدام الموارد الاقتصادية فالإمكانيات الطبيعية والموارد الأولية متوفرة لأكثر الشعوب ولو بدرجات متفاوتة إلا أن ما يفرق بين المجتمعات والدول في درجة الرقي والتقدم إنما هو العمل وبالتالي النظام الاقتصادي الذي ينظم هذا العمل[5].

---

[1] الميلاد، مرجع سابق، ص 96 .
[2] الذوادي، مرجع سابق، ص 195 .
[3] نازك سابايارد، **الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة**، ط2، نوفل للنشر والتوزيع، 1992م،ص ص 85 .
[4] سابايارد، مرجع سابق، ص ص 86-87 .
[5] معن زيادة، **معالم على طريق تحديث الفكر العربي**، دط، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1978م، ص 188 .

بحث رفاعة في عوامل النمو الاقتصادي وما لفت نظره نشاط الأوروبيين وحبهم للعمل، وقد أدرك سببه، وهو أن مجتمعهم صناعي قائم على العمل[1]، لذلك شغلت القضية الاقتصادية جانبا هاما في فكر الطهطاوي في كتابه "مناهج الألباب" على وجه الخصوص تناول فيه عدة جوانب من نظريته الإقتصادية، فأهتم بصفة خاصة بقضية العمل ورأس المال والعلاقة بينهما[2].

أثنى رفاعة على أهمية العمل مؤكداً على أنه القوة الأولية في إبراز المنافع الأهلية من خلال تطبيقه على الأرض الزراعية، ويقسم أرباب الإدارات والتدابير العمل إلى قسمين: منتج للمال وغير منتج له، حيث يفرق رفاعة بين العمل المنتج وغير المنتج من خلال قوله أن:

- ❖ العمل المنتج هو الذي يزيد قيمة مورده بالربح.
- ❖ أما غير المنتج فهو الذي لا تنشأ عنه ثمرة تربيح تنسب إليه[3].

ويشير إلى ما كان سائداً في ظل علاقات الإنتاج الإقطاعية التي كانت قائمة على الظلم والاستغلال[4]، ويضرب رفاعة أمثالاً على العمل غير المنتج، ويتحدث عن فئة لا تزال غير منتجة، وهي فئة موظفين الدولة الذين يتقلدون المناصب الفخمة لكنهم غير منتجين أي أن مناصبهم لا تجلب أرباحاً ولا مكاسب مهما سمت مراتبهم، ومثال ذلك وظائف الحكام الملكية وضباط العسكرية البرية والبحرية وجميع الجنود وإن كان عليها مدار حركة الإنتاج، بل هي القوة الباعثة له في الواقع إلا أنها لا تسمى في عرف المنافع العمومية بالمنتجة للأموال بنفسها وبعملها وإن كانت لهم مرتبات سنوية جسيمة في نظير مأموريتها، فهذه المرتبات عائدة إليهم من أموال غيرهم، ولو أن خدمتهم للحكومات في

[1] سابايارد، مرجع سابق، ص 90 .
[2] النجار، مرجع سابق، ص 465 .
[3] الطهطاوي، مناهج الألباب...، مصدر سابق، ص73-90 .
[4] نفسه، ص 90 .

غاية الشرف والمنفعة، ومن أشد اللزوم للأهالي، فلا تنتج ربحاً يروج منه مقدار للمستقبل، يساوي الصرف على خدمتهم سنة، يعني: لا تربح خدمتهم للحكومة مالاً يُعطى لهم في السنة المقبلة[1].

ويلحق بالمناصب الميرية المناصب القضائية والدينية والعمومية كعمال الأوقاف، فهم غير منتجين بالمعنى السابق، ومثل هؤلاء أيضاً أهل الآداب و أرباب فنون الطرب والملاهي والمصارعين، فجميع هذه الأعمال ليس لها قيمة مالية وكسب تربيح إذ لا تنتج شيئاً يُباع ويتحصل منه لسنة أخرى مصاريف العمل الذي يعطي ربحاً، فبهذا المعنى يُقال أنهم غير منتجين يعني: هم جهة مصرف لا جهة إيراد، أي ليسوا جهة أرباح لأن الغير المُنتج من الأعمال هو ما لم يبقى بعد انقضائه شيء من ثمرات العمل يروج ويكفي لعمل آخر[2].

ويرى رفاعة أن هؤلاء عالة على المنتجين في المجتمع كما يرى أيضاً أن العمل المنتج هو سبيل الإنسان على المستوى الفردي إلى السعادة وتكوين الثروة، فيقول: "أن منبع السعادة الأولى هو العمل والكد ومزاولة الخدمة، كما أن العمل المنتج هو سبيل الأمم إلى التقدم وصنع التنمية"[3].

ويتخذ موقفاً يعلي من قدر "العمل" وقيمته فوق قدر "الأرض"، وقيمة خصوبتها ولكن مع الاعتراف بقيمة "الأرض وخصوبتها" مضافة إلى قيمة العمل فيقول[4]: "وفي الحقيقة جميع هذه الأعمال لا يتمكن الإنسان من الانتفاع بما هو حق الانتفاع إلا بوجود الأرض المخصبة، أو القابلة للخصوبة بالصناعة التي هي محل العمل، فالأرض المخصبة إنما هو وجود خاصية الخصب الذي هو قبول الإنتاج والإثمار، وهذه الخاصية بالنسبة لذات

[1] الطهطاوي، مناهج الألباب...، مصدر سابق، ص 92 .
[2] سابايارد، مرجع سابق، ص 93.
[3] زيادة، مرجع سابق، ص96.
[4] عمارة، رفاعة الطهطاوي...، مرجع سابق، ص 314 .

الأرض غير محسوسة، بل هي عبارة عن الإستعداد والقبول لاستخراج المحصولات منها بالعمل، فهي في أول أمرها وقبل إصلاحها تحتاج لغيرها من الأشياء الطبيعية إلى قوة إرادة وإختيار، صادرة عن عمل وتمييز ممن يريد أن يتعاهدها بالعمل ويصلحها"[1].

فالأعمال هي أسباب السعادة والثروة، ومنبع الأموال والغنى، فالأرض إنما هي مورد للأعمال، وأن الأرض المخصبة بدون العمل لا تنتج شيئاً، والأرض المجدية بكثرة العمل تُخصب وتنتج النتائج الجمة[2].

والطهطاوي بعد هذا يناقش الاستغلال الذي يوقعه أرباب الأعمال كما يسميهم[3]، ويعرض تلك الأوضاع الجائرة التي كانت عليها حال الأرض والفلاح بمصر في ذلك الحين، فيدافع عن الفلاح ويطلب له نصيباً من محصولات الأرض، بل ويطلب أن يكون لهذا "الفلاح" أغلب ما تُثمر الأرض من محصولات، وهو يناقش في هذا الصدد قضية "العمالة الزراعية" وزيادة "العرض" فيها عن "الطلب" وأثر ذلك في تدهور الأجور التي ينالها أهل الفلاحة، ويتخذ هذا الموقف عندما يقول[4]: "ثم أن المقتطف لثمار هذه التحسينات الزراعية المجتني لفوائد هذه الإصلاحات الفلاحية الناتجة في الغالب عن العمل واستعمال القوى الآلية، والمحتكر محصولاتها الإرادية، إنما هو طائفة الملاك، فهم من دون أهل الحرفة الزراعية، هم المتمتعون بأعظم مزية حتى لا يكاد يكون لغيرهم شيء من محصولاتها له فلا يعطون للأهالي إلا بقدر الخدمة والعمل، وعلى حسب ما تسمح به نفوسهم، يعني أن الملاك في العادة تتمتع بالمتحصل من العمل، ولا تدفع نظير العمل من الجسيم إلا المقدار اليسير الذي لا يكافئ العمل "[5].

[1] الطهطاوي، مناهج الألباب...، مصدر سابق، ص ص 77-78 .
[2] نفسه، ص 98 .
[3] زيادة، مرجع سابق، ص 190 .
[4] عمارة، رفاعة الطهطاوي...، مصدر سابقن ص 315 .
[5] الطهطاوي، مناهج الألباب...، مصدر سابق، ص ص 82-83 .

ويذكر أن أصحاب الأرض هم الذين يجنون ثمار العمل الشاق الذي لا يقوم به الفلاحون، ويحتكرون المحاصيل، ويحصلون لأنفسهم على الجزء الأكبر من عائد الإنتاج ولا يتركون للفلاحين إلا أجورا ضئيلة لا تتكافأ مع قيمة ما يبذلون من جهد فلا يحصل العمال إلا على ما يسد رمقهم، بينما يخرج أصحاب رأس المال بالنصيب الأكبر، ويبرر أصحاب رأس المال ذلك بتغطية ما يتحملون من تكاليف بأن لهم حق التمتع بعائد إستثمار أموالهم التي هي ملك خاص بهم ولا يستطيع العمال سوى القبول بأجورهم المتدنية التي لا تكاد تكفيهم مطالب الحياة الضرورية[1].

كما يعتقد المالكون أنهم أرباب استحقاق عظيم بسبب التملك وأنهم هم الأولى بالسعادة والغنى مما يتحصل من عمليات الزراعة، وان من عداهم من أهل المملكة لا يستحق من محصول الأرض شيئاً، إلا وأنه في مقابل خدمته ومنفعته المأمور بإجرائها في حق أرضهم، فيترتب على هذا أن كل من يريد من الأهالي أن يعيش من الخدمة التي هي من العمل، يصير مضطرا لأن يخدم بالقدر الذي يتيسر له أخذه من الملاك بحسب رضائهم، ولو كان هذا القدر يسيراً جداً لا يساوي العمل، لاسيما إذا وجد بالجهة كثير من الشغالين، فإنهم يتناقصون من الأجرة، ويتنافسون في ذلك لمصلحة صاحب الأرض مع أن الأرض، إنما تتحسن محصولاتها بالعمل فلا يمكن أن يكون ذلك التحسن والزيادة والخصب إلا بالعمليات الفلاحية الصادرة من هؤلاء الأجرية الذين تناقصت أجرتهم، وكما أن أرباب الأملاك يحتكرون جميع الأعمال الزراعية من طائفة الفلاحة، كذلك يحتكرون ثمرات الصناع لأن الصنائع كلها تسعى وتنهض في الأشغال والعمليات التي تستند عليها حاجة الفلاحة، كالحدادة والنجارة وجميع صنائع أهل الحرف المتعلقة بأمور الفلاحة[2].

[1] عباس، مرجع سابق، ص 71 .
[2] الطهطاوي، مناهج الألباب...، مصدر سابق، ص 83 .

كما دافع رفاعة عن حقوق العمال مبيناً أن رب العمل يجتني أرباحه من ثمرة كد العامل وثمرة جبينه[1].

ويرتكز الإنتاج الاقتصادي عند الطهطاوي على دعامتين:

العمل ورأس المال وأبرز دور العمل في تكوين ثروة الأمة بما يضيفه من قيمة كبيرة إلى الموارد الطبيعية، وبذلك يعد العمل محدداً هاماً لمستوى تطور الأمة[2]، إذ يقول "أن الأمة المتقدمة في ممارسة الأعمال والحركات الكدية ذات الكمالات العلمية، المستكملة للأدوات الكاملة والآلات الفاضلة والحركة الدائمة، قد إرتفعت إلى أعلى درجات السعادة والغنى بحركات أعمالها، بخلاف غيرها من الأمم ذات الأراضي الخصبة والواسعة الفاترة الحركة، فإن أهاليها لم يخرجوا من دائرة الفاقة والاحتياج، فإن قابلت بين أغلب أقاليم أوربا وإفريقيا ظهر لك حقيقة ذلك"[3]، فمن هذا يظهر أن أساس الغنى مبني على كثرة الأشغال والأعمال[4].

ويتناول الطهطاوي العلاقة بين العمل ورأس المال مفصلاً الأول باعتباره مصدر ثروة الأمة، وأنه يساهم في تنمية مواردها الطبيعية[5]، إذ يقول: "أن الشغل هو أساس الغنى والسعادة ومنبع الأموال المستفادة، وأنه هو الأصل الأولي للعلّة والأمة، يعني أن الناس يكتسبون سعادتهم باستخراج ما يحتاجون إليه من منفعتهم من الأرض، فالفضل للعمل وأما فضل الأرض فهو ثانوي تبعي، وهذا الذي يعتمده أهل الفلاحة، ويستدلون على ذلك بأنه لا يمكن إيجاد الخصب في الأرض إلا بدوام الشغل عليها فإن الشغل يعطي قيمة لجميع الأشياء التي ليست متقومة بدونه[6].

---

[1] سابايارد، مرجع سابق، ص 91 .
[2] عباس، مرجع سابق، ص 71 .
[3] الطهطاوي، مناهج الألباب...، مصدر سابق، ص 79 .
[4] زيادة، مرجع سابق، ص 189 .
[5] عباس، مرجع سابق، ص 71 .
[6] الطهطاوي، مناهج الألباب...، مصدر سابق، ص 79 .

وبالإضافة إلى حديث رفاعة عن العمل وأسبقيته على رأس المال وربطه بين مستوى الأمة الحضاري، فإنه يعرّف العلاقة بين العمل والإنتاج من جهة والنظام الاقتصادي من جهة أخرى فهو يدرك أن الدولة الحديثة قامت على أنقاض نظام اقتصادي قديم هو النظام الإقطاعي سواء في أوربا أو في مصر، وإن الدولة الحديثة تقتضي نظاما أو نظما اقتصادية مختلفة عما كان سائدا في المجتمعات قبل الحديثة[1]

ومن الواضح أن الطهطاوي يرى أن العمل والإنتاج الاقتصادي هما مؤشران معبران عن مستوى المجتمع الحضاري، فتقدم العمل والإنتاج يعني تقدم المجتمع ويحمل على الإستغلال والمستغلين، لأن الاستغلال يؤدي إلى التباعد الإجتماعي والطبقي، ويوصل المجتمع إلى أزمات وتناقضات، وهو يحمل باللائمة على أرباب الأملاك، أي أصحاب رؤوس الأموال لأن طمعهم وجشعهم واستغلالهم هي السبب في ذلك[2].

وكان إهتمام الطهطاوي بالاقتصاد يتسع ليشمل مختلف الأنشطة الاقتصادية مثل: التحكم في الموارد الطبيعية واختراع الآلات والمعدات واكتشاف طرق جديدة للإنتاج في مختلف مجالات الاقتصاد فكتب عن رأس المال المنتج[3]، ورأس المال الغير المنتج معتبرا الزراعة والصناعة والتجارة تحت النوع الأول(المنتج) محل الأرباح والإيراد أما قطاع الخدمات العامة تحت النوع الثاني(غير المنتج)[4].

واعتبر الطهطاوي الإنتاج من سمات الحضارة ومحدداً هاماً للتميز بين الأمم المتحضرة، فالتقدم في التجارة والصناعة والزراعة يساعد على رقي الأمة، كما نادى بضرورة الحرية الاقتصادية في مختلف المجالات باعتبار أن مصر كانت تضع قيوداً

[1] زيادة، مرجع سابق، ص189 .
[2] عبد الفتاح فتح أحمد خالد، **معالم على طريق تحديث الفكر العربي**، دط، دار المعرفة، د-ب-ن، د-س-ن، ص 191 .
[3] عباس، مرجع سابق، ص 72 .
[4] الطهطاوي، مناهج الألباب...، مصدر سابق، ص 92 .

على بعض المجالات الاقتصادية، هنا جاء على سبيل تبرير تلك السياسة رغم اقتناعه التام بأهمية الحرية الإقتصادية في تقدم الأمة[1].

كما أكد الطهطاوي أن من واجب الدولة أن تشجع التجارة الخارجية في توفير وسائل النقل وتأمين سلامة التجار، واقترح أن تقوم الدولة بتحويل الأوقاف إلى مؤسسة اقتصادية إنتاجية باستثمار أموالها في مشروعات الخدمات كالصحة والأعمال الخيرية، وطالب الدولة بفرض ضريبة الدخل على جميع المواطنين دون تمييز ينفق عائده على الخدمات العامة[2].

كما أشار الطهطاوي في مدح السعي والعمل مسنداً على بعض الأحاديث التي تحث عليه[3]، وتحدث أيضاً عن ضرر البطالة والكسل، واعتبر ترك العمل ذماً، وأن الرسول صل الله عليه وسلم استعاذ من الكسل، كما أشار إلى قول علي رضي الله عنه (الحركة ولود، والسكون عاقر ولا تنشئ عن البطالة إلا المفسدة، فعلى المرء أن يشغل النفس التي هي عين فارغة بما يصلحه وإلا شغلته بما يفسده[4])، حيث يبين أن الكسل المعبر عنه بالسكون والعمل المعبر عنه بالحركة يتجاذبان بقوتين مختلفتين، والإنسان دائماً ينجذب للراحة ويميل إليها، فحالة السكون تجذب الإنسان للإرتياح، وقوة العمل تدفعه عن مركز السكون إلى حركة النشاط والفلاح، وهاتان القوتان متعادلتان لا ترجع إحداهما على الأخرى، ومحبة السكون مسببة للشهوات، ومحبة العمل ناشئة عن النفور من البطالة وإيثار الأعمال الرشيدة، قال بعضهم:"إن طلبت المورد العذب فاسلك طريق الصعب"[5].

---

[1] عباس، مرجع سابق، ص 72.
[2] نفسه، ص 74 .
[3] الطهطاوي، مناهج الالباب...، مصدر سابق، ص 97.
[4] نفسه، ص 100.
[5] عبد الحميد أحمد أبو سليمان، **أهم الكتب التي أثرت في فكر الأمة في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2017م، ص29.

على الإنسان أن يتأهل بقوة فكره ويسير بقدر ما يطيقه، فيسعى لما يفيده، ويتحقق أن سعيه بسبب إنتقاله إلى العز ومن الفقر إلى الغنى والرفعة، فمن شأن البطالة أنها تبطل الهيئات الإنسانية، فإن كل هيئة بل كل عضو تُرك استعماله، يبطل كالعين إذا أغمضت واليد إذا عطلت، فإن الأعضاء خُلقت لتحكم في كل شيء، فإن الله تعالى لما جعل للحيوان قوة التحرك لم يجد له رزقا إلا بالسعي كما جعل له قوة التحرك، ولما جعل للإنسان الفكرة ترك له من كل نعمة أنعمها عليه من الأعضاء ما يصلحه، حينئذ بفكرته وإن تبطل فائدة الفكرة يكون وجودها عبثاً[1].

وهذا التوجه في فكر الطهطاوي يقوم على التحريض على العمل، وجعله في يقين ووجدان الصبيان حتى يُصبح خُلقاً فيهم كما يعمل على ربط الفكر بالعمل[2].

وفي الكتاب أيضا صور مختلفة لمجد مصر في عصر الفراعنة منثورة في مواضع متفرقة تساق في أسلوب الفخر والاعتزاز، فهو على سبيل المثال حين يتكلم عن ضرر البطالة يقدم صورة عن نشاط المجتمع الفرعوني القديم الذي تجلى فيما خلفوه من أثار ضخمة[3]، وتتكلم عن التماثيل التي تصور الكسل في صورة بغيضة، والتي كانوا ينصبونها في الميادين من خلال قوله: وقدماء المصريين في الأزمان الخالية والقرون البالية يعانون الأعمال العجيبة ويجتهدون في انجاز الأشغال الغريبة كالأهرام والتماثيل العجيبة، وكانوا ينفرون من الفتور والكسل كمال النفور.

ويشخصون الكسل، ويجعلونه على صورة بشعة توضع في الميادين العامة ليكون عبرة لأهل المرور والعبور، فمثلا يصورون الكسلان بهيئة عليه الحزن والإكتئاب مطأطأ الرأس إلى الأرض مجمع اليدين على بعضهما البعض وبجانبه قضبان مكسور تفيد هجره للأشغال ونفوره، كذلك رسم الكسل على هيئة امرأة عليها علامة البطئ والتوان، حيث

[1] الطهطاوي، المرشد الأمين..، مصدر سابق، ص72.
[2] أبو سليمان، مرجع سابق، ص 29.
[3] حسين، مرجع سابق، ص105.

يتضح من ذلك أن الكسلان كثيرة الشوك والسعدان تزدحم عليها الحشائش الطفيلية والأعشاب الفضولية، فلا يتحصل به منها ما يفي بالقوت[1].

فصفة الكسل في نظر رفاعة مثلبة خبيثة بل هي أم الخبائث، فهي تحمل صاحبها على عدم إعمال الفكر والبدن[2].

خلاصة:

تلك هي أبرز قسمات الفكر السياسية والاجتماعي والاقتصادي عند الطهطاوي، وقد بذل جهداً كبيراً في الربط بين الثقافتين وفي استخلاص ثقافة عربية جديدة تجمع بين ايجابيات الموروث وايجابيات المكتسب وتلبي حاجات المجتمع في مرحلة التحول إلى العصر الحديث، وفي هذا السياق مضي رفاعة حاملاً خلاصة ما تعلمه في فرنسا ناقلا إياه إلى أبناء وطنه وقد وجد سبيله إلى التطبيق في إطار المشروع التحديثي لمحمد علي.

[1] الطهطاوي، مناهج الألباب...، مصدر سابق، ص 105 .
[2] نفسه، ص 106 .

الخاتمة

وختاما لما سبق نستنتج :

- أن رفاعة رافع الطهطاوي كان خير نموذج للرجل الذي أراد محمد علي أن يخرجه ويكونه، ولعل أهم نقطة تحول رئيسية في حياة الطهطاوي هي تلك السنوات الخمس الذي قضاها في باريس واحتكاكه بالحضارة الغربية، والتي كان لها أثر كبير في تكوينه الفكري، ومثلت عودته من باريس نقطة التحول الأهم حيث انتقل مشروعه لنهضة مصر من مجرد فكرة إلى مجال التنفيذ وتم ذلك برعاية محمد علي الذي أولى رفاعة اهتماما كبيرا ورأى في مشروعه دعما لدولته.
- كان رفاعة رائدا فذا في مصر، وقد ترك أثرا بالغا على تطور الفكر الحديث من خلال صياغته لأفكار ونظريات جديدة في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، كما جدد علاقة الفكر الغربي والإسلامي بقضايا التمدن والعمران والآداب العصرية والدفع نحو التواصل والإنفتاح على العلوم والمعارف الحديثة، وعلى الرغم من إعجابه الصريح بالفكر الغربي فقد عارض تماما مبدأ التبني العشوائي للحضارة الغربية واقتباس مظاهرها الخارجية، ونادى بالإصلاح السياسي والتطوير مع الاحتفاظ بالقيم والمبادئ الإسلامية وهذا ما يعكس إدراكه العميق للتاريخ وفهمه الشامل للحضارة، وقد حمل لواء التعريف بالحضارة الأوربية من خلال ترجمة أمهات الكتب والفكر الأوروبي، كما حمل لواء التحديث من خلال مؤلفاته الإصلاحية.
- ولا جدال أيضا في أن محمد علي باشا قد سما بأعماله إلى مصاف عظماء الرجال، وتمثلت عظمته في كونه نشأ نشأة متواضعة وتدرج في جندي بسيط إلى أن ارتقى عرش مصر، وأنشأ دولة عظيمة وحكومة ثابتة وطيدة لها قواعد وأنظمة ودواوين وإدارات وسنّ لها قوانين ولوائح، وقد شعر المصريون معه بكيانها وجعلهم يشاركون في شتى طوائفهم في تحديث بلدهم والعمل على النهوض به معتمدا على موارده وخبراته الأساسية، وقد فهم رفاعة عن محمد علي سياسته فاتبعها مع تلاميذه في الألسن وبهذا استطاع محمد علي واستطاع رفاعة أن يصبغا الثقافة العربية في القرن التاسع عشر ويوجهاها إلى

الوجهة الصالحة وبعث حضارة زاهية كان لها الفضل الكبير في نشر لواء العلم والعرفان في وادي النيل.

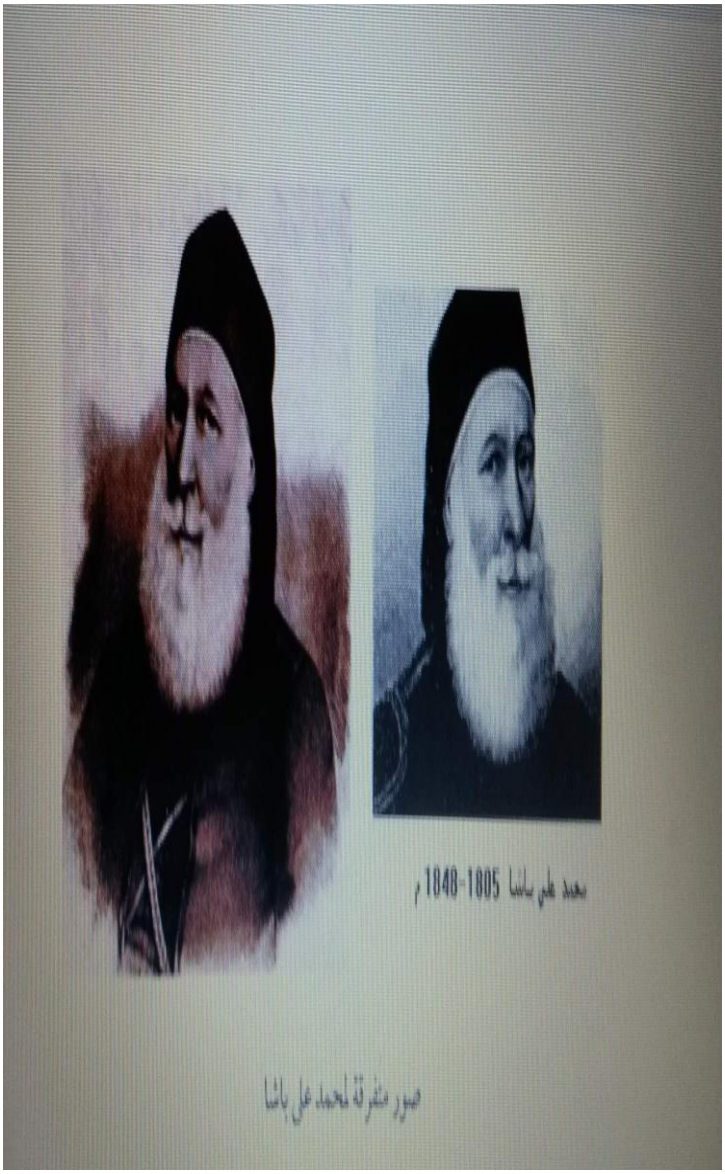
الملاحق

الملحق رقم 01: صورة توضح رفاعة بك رافع الطهطاوي[1]



[1] الرافعي، مصدر سابق، ص427.

الملحق رقم 02: يوضح صور لمحمد علي[1]





[1] غبور، مرجع سابق، ص 158-164.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1. الأيوبي (إلياس) ، **محمد علي، سيرته، أعماله و آثاره**، دار الهلال، مصر، 1923.

2. بدوي (أحمد أحمد)، رفاعة الطهطاوي بك أحد أركان النهضة العربية العلمية، دط، البيان العربي، مصر، 1949.

3. الرافعي (عبد الرحمن) ، **عصر محمد علي، ط5**، دار المعارف، القاهرة، 1409-1989.

4. الطهطاوي (رفاعة رافع)، **المرشد الأمين للبنات والبنين**، د-ط، دار الكتاب المصري واللبناني، مصر، 2012م.

5. الطهطاوي (رفاعة رافع)، تخليص الأبريز في تلخيص باريز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م.

6. الطهطاوي (رفاعة رافع)، **مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012.

7. طوسون (عمر) ، **البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول وسعيد**، مطبعة صلاح الدين، الإسكندرية، 1353هـ- 1934م.

8. طوسون (عمر)، **الجيش المصري البري والبحري**، ط2، مكتبة مديولي، القاهرة، 1416-1779م.

9. فارجيت (جي)، محمد علي مؤسس مصر الحديثة، تر : محمد رفعت عواد، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، د س ن.

10.مجدي (السيد صالح) ، **حلية الزمن بمناقب خادم الوطن سيرة رفاعة رافع الطهطاوي**، تح :جمال الدين الشيال، د–ط، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، د س ن.

المراجع:

1. أبوالفضل (محمد عبد الفتاح)، **الصحوة المصرية في عهد محمد علي**، دط، المجلس الأعلى للثقافة، السكندرية، 1999م.

2. أحمد أبو سليمان (عبد الحميد)، **أهم الكتب التي أثرت في فكر الأمة في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2017م.

3. أحمد زكي (صلاح) ، **أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث**، ط1، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2001.

4. أحمد عبد الرحمان (محمود عباس) ، **معالم مصر الحديثة والمعاصرة**، ط1، الدار العالمية للنشر والتوزيع، 2002م.

5. الإسكندر (عمر)، سليم (حسن) ، **تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر**، ط2، مكتبة مديولي، القاهرة، 1999.

6. الأصمعي (محمد عبد الجواد)، **قلعة محمد علي لا قلعة نابليون**، دط، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1342هـ– 1924م.

7. أمين (أحمد) ، **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، دط، مؤسسة هنداوي، مصر، 2012.

8. أمين (جلال) ، **الإقتصاد المصري في عهد محمد علي إلى عهد مبارك**، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2012م.

9. بدوي (جمال) ، **محمد علي وأولاده**، دط، مكتبة الاسرة، د ب ن، 1999.

10. بركات (مصطفى)، **الألقاب والوظائف العثمانية**، دار غريب، القاهرة ، 2000م.

11. بروكلمان (كارل)، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، تر: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط5، دار العلم للملاين، لبنان، 1968م.

12. تاجر (جاك) ، **حركة الترجمة في القرن التاسع عشر**، دط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م.

13. تيمور باشا (أحمد) ، **أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث**، دط، مؤسسة هنداوي، المملكة العربية المتحدة، 2017.

14. الجالودي (علياء)، التحولات الفكرية في العالم الإسلامي، ط1، دار المكتبة الوطنية، الأردن، 1435هـ/2014م.

15. الجمال (حمد بن صادق) ، **اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر**، ج1، ط1، عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، 1994م.

16. الحتة (أحمد أحمد) ، **تاريخ الزراعة المصرية في عهد محمد علي**، تق: صبري أحمد العدل، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2011م.

17. حجازي (محمود فهمي) ، **أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي**، دط، دار غريب ،القاهرة، 1974.

18. حسين (عبد الغفار)، **بناء الدولة الحديثة في مصر**، ج1، دار المعارف، القاهرة، د س ن.

19. حسين (محمد محمد)، **الإسلام والحضارة الغربية**، ط1، دار الفرقان، 1441-1975 م.

20. حلمي (سهير) ، **أسرة محمد علي أعماله وأثاره**، دط، دار الهلال، مصر، 1923.

21. حوراني (ألبرت) ، **الفكر العربي في عصر النهضة**، (تر) كريم عزقول، دط، دار النهار للنشر، بيروت- لبنان 1798-1939.

22. خالد عبد الفتاح(فتح أحمد) ، **معالم على طريق تحديث الفكر العربي**، دط، دار المعرفة، د-ب-ن، د-س-ن.

23. الدسوقي (عمر)، في الأدب العربي،ج1، ط8، دار الفكر، القاهرة، 1973.

24. دودويل (هنري)، **الاتجاه السياسي في مصر في عهد محمد علي**، تر: أحمد محمد عبد الخالق، علي أحمد شكري، مؤسسة هنداوي سي، أي، سي، المملكة المتحدة،2017م.

25. الدوري (عبد العزيز) ، **التكوين التاريخي للأمة العربية، دراسة في الهوية الوعي**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984.

26. الديهي (نشأت)، **محمد علي باشا بدايات قاسية ومجد عظيم**، دط، دار الجمهورية للصحافة، مصر، 2009م.

27. الرجبي (خليل بن أحمد) ، **تاريخ الوزير محمد علي باشا**، تح: دانيال كريسيليوس وآخرون، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، 1417هـ-1997م.

28. رفعت محمد، **تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة**، ج7، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1934.

29. زيادة (معن)، **معالم على طريق تحديث الفكر العربي**، دط، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1978م.

30. زيدان (جورجي) ، **تاريخ مصر الحديث مع فذلكة في تاريخ مصر القديم**، دط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة،2012م.

31. زيدان (يوسف)، **فهرس مخطوطات مكتبة رفاعة رافع الطهطاوي**، ج1، معهد المخطوطات العربية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ، القاهرة، 1996.

32. ساباياردِ (نازك)، الرحالون **العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة**، ط2، نوفل للنشر والتوزيع، 1992م.

33. سامح (كمال الدين)، **لمحات في تاريخ العمارة المصرية**، دط، هيئة الاثار المصرية، القاهرة، 1986م.

34. سراج الدين (إسماعيل) ، **تحديث مصر في عصر محمد علي**، دط، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، 2007م.

35. السربوني (محمد صبري)، **الإمبراطورية المصرية في عهد محمد علي والمسألة الشرقية**، تر: ناجي رمضان عطية، تق: أحمد زكريا الشبق، ج1، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة 2012م.

36. السروجي (محمد محمود)، **دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر**، دط، مكتبة الاسكندر، الإسكندرية، 1898م.

37. سليمان (محمود محمد)، **الأجانب في مصر، دراسة في تاريخ مصر الاجتماعي**، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الإسكندرية، 1996م.

38. شفعي بك (علي)، **أعمال المنافع العامة الكبرى في عهد محمد علي**، دط، دار المعارف، مصر، 1950م.

39. شكري (غالي)، **النهضة والسقوط في الفكر المصري الحديث**، ط2، دار الطليعة، لبنان.

40. شكري (محمد فؤاد)، **مصر مطلع القرن التاسع عشر 1801-1811م**، ج1، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 1958م.

41. الشيال (جمال الدين) ، **التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 2000م.

42. الشيال (جمال الدين)، **رفاعة الطهطاوي زعيم النهضة الفكرية في عصر محمد علي**، دط، دار أجيال الكتب العربية، الإسكندرية، د س ن.

43. صبري (محمد)، **تاريخ مصر الحديث مصر من محمد علي باشا إلى اليوم**، ط2، مطبعة مصر، د ب ن، 2000.

44. طربين(أحمد)، تاريخ المشرق العربي والمعاصر، دط، المطبعة الجديدة، دمشق،1986 .

45. ظاهر(مسعود)، **النهضة العربية والنهضة اليابانية**، دط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978م.

46. عباس (رءوف) ، **التنوير بين مصر واليابان**، ط1، عين مريت للنشر والمعلومات، القاهرة، 2001.

47. عبد الفتاح (عصام)، **محمد على عبقرية الإدارة وصناعة التاريخ**، د–ط، الشريف ماس للنشر والتوزيع، القاهرة.

48. عبد الكريم (أحمد عزت) ، **تاريخ التعليم في عصر محمد علي**، دط، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1834م.

49. عكاشة (علياء)، **العمارة الإسلامية في مصر**، دط، بردي للنشر، مصر،2008م.

50. عمارة (محمد) ،**الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي ،التمدن والحضارة والعمران** ، د ط ، ج1 ، دار الشروق مكتبة الأسرة ، 2011.

51. عمارة (محمد)، **رفاعة الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث**، ط3، دار الشروق، مصر، 2007م.

52. عمر (عبد العزيز عمر)، **تاريخ مصر الحديث والمعاصر**، دط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993م.

53. عوض (لويس)، **تاريخ الفكر المصري الحديث من الحملة الفرنسية إلى عصر إسماعيل**، ط4، مكتبة مديولي، القاهرة، 1987 .

54. عوض (لويس)، **تاريخ الفكر المصري الحديث من عصر إسماعيل إلى ثورة1919**، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د–ب–ن، 1983م.

55. عوف (أحمد) ، أحوال مصر من عصر إلى عصر، دط، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة.

56. غبور (منير) وعثمان (أحمد)، **محمد علي باشا عودة الذاكرة المصرية**، ط1 مكتبة مديولي، القاهرة 2012.

57. غربال (محمد شفيق) ، **محمد علي الكبير**، دط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014.

58. غربي (الغالي)، **دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288م–1916م**، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

59. الغنام (سليمان) ، **سياسية محمد علي باشا التوسيعية**، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2004م.

60. فرج (السيد) ، **حروب محمد علي**، مطبعة التوكل، د ب ن، 1999.

61. فلاور (ريمون) ، **مصر من قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر**، تر: سيد أحمد عبد الناصري، دط، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000.

62. كورخان (كارولين جوتيه)، **العلاقات المصرية في عهد محمد علي 1805–1849** تر :نانيس حسن عبد الوهاب، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة 2015م.

63. لطفي (عفاف)، **مصر في عهد محمد علي**، تر: عبد السميع عمر زين الدين، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2004.

64. ميتشل (تيموثي) ، **استعمارُ مصر**، (تر) بشير السباعي، أحمد حسان، ط2، مدارات للأبحاث والنشر، مصر، 2013.

65. النجار (حسن فوزي) ، **رفاعة الطهطاوي رائد فكر وإمام نهضة**، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ب ن، 1987.

66. نوار (عبد العزيز سليمان) ، **تاريخ مصر الاجتماعي**، دار الفكر العربي، القاهرة، د س ن.

67. هريدي (صلاح أحمد) ، **الحرف والصناعات في عهد محمد علي**، تق: عمر عبد العزيز عمر، دط، دار المعارف، بيروت، 1985.

68. هريدي (صلاح أحمد) ، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، ج2، ط1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والإجتماعية، الإسكندرية، 2000م.

69. وادي (طه) ، **ديوان رفاعة الطهطاوي**، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1984.

الموسوعات:

1. الجوادي (محمد)، **الجامع الأزهر باعث شرارة النهضة الموسوعية العربية الحديثة**، دط، دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ط1، 2012م.

2. الحازمي (ابراهيم ابن عبد الله)، **موسوعة أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر هجري في العالم العربي والإسلامي**، ج1، ط1، دار الشريف، الرياض، 1419هـ.

3. حامد (رءوف عباس)، **تطور الفكر العربي الحديث**، موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية، كلية الآداب، جامعة القاهرة.

4. حلاق (حسان) وصباغ (عباس) ، **المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية**، ط1، دار العلم للملايين، لبنان، 1999م.

5. الخطيب (مصطفي عبد الكريم) ، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م.

6. الزركيلي (خير الدين)، **الأعلام قاموس تراجم**،ج2، ط15، دار العلم للملايين، لبنان، 2002م.

7. زناتي (أنور محمود)، **قاموس المصطلحات التاريخية**، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2007م.

8. الزيدي (مفيد)، **موسوعة التاريخ الإسلامي في العصر العثماني**، دار أسامة، عمان، 2003م.

9. صابان (سهيل)، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م.

10. مجيب المصري (حسن) ، **معجم الدولة العثمانية**، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2004م.

المقالات:

1. سليمان (محمد)، رفاعة الطهطاوي...رؤية من قريب، مكتبة الإسكندرية.

المجلات:

1. الخوري (شحادة)، رفاعة رافع الطهطاوي أحد بناة النهضة العربية الحديثة، **مجلة التراث العربي**، ع (81-82)، 2001م.

2. الذوادي (زهير)، نهج رفاعة الطهطاوي المشروع الحضاري المناقض للإستبداد، **مجلة الموروث**، ع (4)، 2014م,

3. زايد (محمد)، محمد علي رائد التجديد في العالم العربي، **مجلة تاريخ العرب والعالم**، ع (01)، 1978م.

4. زمولي (يسمينة)، الفكر التنويري العربي في القرن التاسع عشر، **مجلة العلوم الإنسانية** ، ع41.

5. سليماني (أسماء)، من أنوار بعث حركة الترجمة العربية بريادة رفاعة رافع الطهطاوي، **مجلة سراج**، العدد (01)، 2019م.

6. عامر(محمود)، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، **مجلة دراسات تاريخية**، ع (117-118)، كانون الثاني- حزيران، 2012م.

7. قرني (عزت)، العدالة والحرية في فجر النهضة العربية، **سلسلة عالم المعارف**، العدد (30)، الكويت، 1980م.

8. مأمون (عامر مرفت)، رفاعة الطهطاوي مفكر القرن التاسع عشر في مصر، **مجلة المعرفة**، ع(393)، 1996.

9. محمود (اسماعيل)، رفاعة رافع الطهطاوي وفكره السياسي والاجتماعي، **مجلة المؤرخ العربي**، العدد (04).

10. الميلاد (زكي)، الإسلام والمدنية، **مجلة ثقافتنا**، ع20، 2010م.

11. نجار (شكري)، الفكر السياسي عند الطهطاوي، **مجلة الفكر العربي**، ع (31)، 1983م.

الرسائل الجامعية:

1. بوعبد الله مجدة، **الحماية البريطانية على مصر 1882-1956م**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، إشر:الأمير بوغدادة، جامعة بسكرة، 2018-2019م.

2. الروقي (عايض بن حزام) ، **حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشر: محمد عبد اللطيف البحراوي، جامعة أم القرى،1985م.

3. علي عبد الكريم (عبد الرحمن) ، **دور الفكر التربوي لشوكاني والطهطاوي للتأسيس للنهضة والتطوير خلال القرن التاسع عشر**، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2005م.

الفهرس

فهرس المحتويات

المحتويات

البسملة

شكر

إهداء

قائمة المختصرات

المقدمة.....أ

المبحث الأول: بطاقة قراءة للكتاب

المطلب الأول: التعريف بشخصية الطهطاوي.....08

المطلب الثاني: التعريف بكتاب مناهج الألباب المصرية.....23

المطلب الثالث: أهمية الكتاب.....28

خلاصة.....31

المبحث الثاني : القضايا السياسية والثقافية من خلال كتاب مناهج الألباب المصرية

المطلب الأول: الوضع السياسي في مصر في فترة محمد علي.....33

المطلب الثاني: الوضع الثقافي والفكري 47

خلاصة.....59

المبحث الثالث : القضايا الاقتصادية والاجتماعية

المطلب الأول: الوضع الاقتصادي 61

المطلب الثاني: الوضع الاجتماعي والعمراني.....75

خلاصة 83

المبحث الرابع : النظريات والتحديثات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في فكر الطهطاوي

المطلب الأول: النظرية السياسية والاجتماعية 86

المطلب الثاني: النظرية الاقتصادية 96

خلاصة 105

الخاتمة 107

الملاحق.....110

قائمة المصادر والمراجع.....112

الفهرس.....124